أوراق من أشهر
الكتب السياسية



أوهام عن القوة والنصر

حنفى المحلاوى

بسم الله الرحمن الرحيم

محمد حسنين هيكل

وأوهامه عن القوة والنصر

حقائق حرب الخليج

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ يأيها الذين آمنوا إن جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا أن تصيبوا قوما بجهالة فتصبحوا على ما فعلتم نادمين ﴾.

(الحجرات: ٦)

صدق الله العظيم

• تم الجمع التصويرى والإخراج والغلاف
بالقسم الفنى للدار المصرية للنشر والإعلام

• التدقيق والمراجعة
الداخلى طه ، فريد إبراهيم

محمد حسنين هيكل

وأوهامه

عن القوة والنصر

حقائق حرب الخليج

حنفي المحلاوى

الطبعة الأولى

١٤١٣هـ

١٩٩٢م

الناشر

الدار المصرية للنشر والتوزيع

al dar al-masria publishing & distribution-house ltd.

20 Kalypso, St., suite 301, Acropolis, P.O.Box 8659

Tel. (02)496666, Telex 5341 Hosni-Cy Fax-(003572) 312963

Nicosia - Cyprus

الوكيل فى مصر

الدار المصرية للنشر والإعلام

ص.ب ١٢٩ هيليوبوليس القاهرة

ت وفاكس ٢٦١٥٧٤٤ (٢٠٢)

الفصل الأول

هيكل

وأوهامه عن القوة والنصر

حقائق حرب الخليج

لأن الحدث كبير.. أشبه بالزلزال.. فإن ما نتج عنه أيضا كبير وعظيم.. وسوف تستمر نتائجه أجيالاً نحملها فوق أكتافنا بالسلب أو بالإيجاب.. فعلا وقولا فقد كانت حرب الخليج هى قمة المأساة التى مرت بها المنطقة العربية.. الأمر الذى دعا العديد من المفكرين المصريين والعرب إلى اعتبارها الفتنة الكبرى الثانية التى تسبب فى حدوثها رجل مهووس أخذته العزة وغرته البطولة.. فأقدم على غزو بلد عربى آمن.. فبدلا من أن يتوجه صدام حسين بقواته المسلحة وأسلحته الفتاكه إلى صدر دولة معتدية مثل إسرائيل ويخلص المنطقة العربية كلها من كابوس طال جسومه على أنفاس العرب.. وجه صواريخه ورجاله وعتاده إلى حدود دولة مجاورة هى الكويت فغزاها واستولى على خيراتها.. وادعى أنها جزء من دولته الكبرى العراق!!.

ولأن الحدث كبير كما ذكرت فلابد أن تكون ردود الفعل أيضا مساوية لضخامة هذا الحدث .. وقد كان .. لقد أفرز هذا العدوان زلزالا عسكريا ضخما .. أدى إلى انسحاب صدام وقواته .. والقضاء على جزء كبير من ترسانته العسكرية، ولم تكن ردود الفعل قاصرة على ميدان القتال .. ومعركة عاصفة الصحراء فقط.. بل إمتد تأثير زلزال هذا الموت إلى عقل وقلب الأمة العربية. الأمر

الذى جعله يفرز مواقف متباينة بين مؤيد ومعارض، ظهرت بوضوح فى الكتب والمشورات التى صدرت عقب توقف صوت المدافع والصواريخ. وآخر إحصاء صدر بشكل غير رسمى عن عدد المؤلفات التى وضعت عن هذه الفتنة.. ذكر أن عددها وصل إلى أكثر من مائة كتاب باللغات البشرية المختلفة.. وكان على رأس القائمة اللغة العربية.

ومن خلال النافذة الإسبوعية التى كنت أطل عليها عبر صحيفة تصدر فى القاهرة كنت أحد المتابعين لهذه الإصدارات.. أرصدها وأقرؤها.. وأحلل بعضها.. ولم أجد كتابا قد أثار ضجة إعلامية.. قلبت موازين المثقفين.. بل وقلبت عقولهم .. سوى كتاب واحد صدر للكاتب الصحفى محمد حسنين هيكل تحت عنوان: حرب الخليج ـ أوهام القوة والنصر.. والضجة التى أحدثها هذا الكتاب مبعثها مصدران أحدهما.. المؤلف.. وهو شخصية صحفية معروفة عربيا وعالمياً.. حيث ارتبط اسمه ونشاطه الصحفى الكبير بالزعيم الراحل جمال عبد الناصر.. فقد كان من أقرب الأشخاص الذين عايشوا أحداث مصر السياسية منذ ثورة يوليو عام ١٩٥٢ .. أما المصدر الثانى الذى يستمد منه هذا الكتاب أهميته أنه يرتبط بحدث كبير أدت نتائجه إلى مزيد من العزلة والإنقسام داخل الأسرة العربية.. بالإضافة إلى إن المؤلف قد ذكر وقائع عديدة ثارت حولها الخلافات.. ومازالت.. وكانت جميعها مثار نقد لاذع من العديد من الكتاب والدارسين والصحفين المصريين.. أبرزهما الدكتور عبدالعظيم رمضان والكاتب الصحفى محمد جلال كشك.

ويوماً بعد يوما تقرأ فى صحيفة هنا ومجلة هناك.. إن الكاتب الصحفى محمد حسنين هيكل قد أورد وقائع غير صحيحة فى كتابه هذا الذى أصدره باللغة الإنجليزية. ولم يشأ يوردها فى النسخة العربية التى هى مصدر حديثنا الآن..

ولكن لماذا لجأ هيكل لمثل هذا الاسلوب.. وهل كل الوقائع التى ذكرها بالفعل صحيحة!!. هذا ما سوف نتعرف عليه من خلال جولة طويلة عبر أوراق هذا الكتاب.. نستعرض بعض ما جاء به.. ونعرض لأهم الانتقادات التى وجهت إليه.. مع ذكر الوقائع الحقيقية التى دأب النقاد على ذكرها خلافا لما جاء بكتاب هيكل.

احتجاج رسمي .. ضد هيكل

وقبل أن نقف للحظات. أود أن أشير إلى أن هذا الكتاب لم تقتصر ردود فعله على الساحة العربية بل امتدت إلى الساحة الإفريقية.. فقد قرأنا جميعا مؤخراً أن إحدى الدول الإفريقية قد بعثت باحتجاج رسمى إلى الحكومة المصرية من خلال القنوات الدبلوماسية على وقائع ذكرها هيكل فى كتابه تخص هذه الدولة وتتعلق بشؤنها السياسية والعسكرية.. ولسوف يكون لنا وقفة طويلة عند هذا الاحتجاج والتعرف على تفاصيله وأسبابه.. حين يأتى الحديث عن الانتقادات التى وجهت إلى الكتاب بشكل عام..

وكما سبق أن ذكرت سوف نبدأ معاً رحلة عبر صفحاته الكبيرة التى تبلغ أكثر من ستمائة صفحة بالقطع الكبير. حتى نتوقف على بعض موضوعاته وفصوله. ثم نعقب ذلك بالنقد.. وأحيانا سوف نبادر بقول هذا النقد حين يأتى ذكر واقعة ثار حولها الخلاف.. وكل ما أحب أن أؤكد عليه أننا لسنا ضد المؤلف.. لأن دورنا هنا يقتصر فقط على العرض والتقديم والمناقشة من خلال استعراض لكافة وجهات النظر التى تناولت الكتاب بالنقد والتحليل. واعتقد أنها مهمة فى غاية الصعوبة لأنها تتطلب منا مزيداً من الحرص.. حتى لا نخرج عن الحياد المطلوب.

نبدأ رحلتنا بالحديث عن الغلاف الأول حيث أقول رأيى الذى نقلته إلى المسئولين عن دار النشر فيما يخص شكل الكتاب وإخراجه وألوانه.. فقد أبديت اعتراضاً على الصورة الكبيرة للمؤلف حيث تتصدر الغلاف الأول مع أن المفروض أن تكون فى الصفحة الأخيرة.. مثلما يحدث فى كتب الأحداث الكبيرة... لسبب بسيط هو أن الكتاب يحدثنا عن وقائع أحداث سياسية وعسكرية ضخمة غيرت وجه التاريخ العربى.. فكيف نستبدل صور هذه الأحداث بصورة المؤلف ؟!. أيضا عنوان الكتاب وجدنا من الصعوبة الإلمام بقراءته بسرعة.. ولا أعرف السبب الذى دفع بالفنان المسئول عن إخراج الغلاف إلى إستخدام هذه الطريقة التى تجعلك تشعر بالفوضى من أول نظره سواء فى العنوان أو فى شكل الغلاف بوجه عام ؟!.

* * *

أما ظهر الغلاف، وحين تقلب الكتاب تطالعك كلمات المؤلف وقد إختار الناشر بعضا منها كمدخل أو كنهاية مطاف للرحلة داخل أوراق الكتاب الذى تبلغ عدد صفحاته أكثر من ستمائة صفحة بالقطع الكبير.. والتى يقول فيها محمد حسنين هيكل: «.. وجربت أن أقترب من أزمة الخليج كتابة، وبالفعل كتبت، ولكن الأزمة أصبحت منذ ساعتها الأولى.. عاطفية أكثر من اللازم شخصية بأكثر من اللازم وعسكرية أكثر من اللازم.. وفى مثل هذه الأحوال عادة ما تكون الصدور ضيقة والأعصاب متوترة والأمزجة منحرفة.. وليس هناك غير سؤال واحد مطروح على كل الناس بنعم أو لا ؟!.. مع هذا أو ذاك ؟!. هنا أو هناك ؟!.

وأعترف أنه طوال الأزمة كان هذا النوع من الأسئلة وما يترتب عليه من خيارات يبدو لى أسهل الحلول وأخطرها فى نفس الوقت. سهل لأنه يعفى

أصحابه من حق الإجتهاد وخطر لأنه ينقل هذا الحق فى الإجتهاد إلى إرادات أخرى لها أغراضها. وعندها خططها.. والغريب أن الأطراف فى الأزمة الذين جعلوها عاطفية وشخصية وعسكرية كانوا يتحاورون لتحقيق هدف لم يكن عليه فى النهاية خلاف، وهو: ضرورة خروج العراق من الكويت.. وقد ظل الكونجرس الأميريكى على سبيل المثال يناقش كل الممكنات إلى يوم ٦ يناير ١٩٩١ .. أى قبل أيام معدودة من بدء الحرب ليلة ٧ يناير ١٩٩١ .. أما عندنا فقد توقف الحوار بعد ساعات من فجر ٢ أغسطس ١٩٩٠ . ومهما يكن فإن هذا الكتاب يجئ بعد سنة من وقف إطلاق النار فى حرب الخليج. ومن ثم فإن أملى أن يكون الفكر العربى قد تجاوز حالة أزمة دهمته على غير إنتظار، وحالة حصار أحاطت به على غير ضرورة ...»

إلى هنا وتنتهى كلمات المؤلف التى اختارها الناشر كنهاية مطاف للرحلة عبر الكتاب الضخم.. وهى كلمات منتقاه وبمنتهى الأمانة والصدق والموضوعية.. وإن كان لنا عليها تعليق مهم.. ولكننا نرجئه إلى حينه.. عملا بالقاعدة التى اخترناها فى كتابة هذا النقد خلال هذه الأوراق.. وهى قاعدة الحياد والموضوعية والتى تعنى عدم الخروج على خط سير الموضوع الذى إختار المؤلف.. لأننا لسنا فى مجال نقد أو تشويه عمل لصحفى كبير له باع طويل فى مثل هذه الأزمات، وكما سبق التنويه.. ذكرت من قبل أن الكتاب الذى بين أيدينا كتاب ضخم وعدد صفحاته كثيرة.. لذلك رأينا أن نستعرض كل ما جاء به من الفهرس أولاً ثم نختار بعض الفصول التى نتوقف عندها طويلاً أو قصيراً.. ثم نتبعه بوقفة طويلة نتحدث عندها عن أهم نقاط النقد التى أثيرت حول الكتاب وحول المؤلف.

ففى الصفحة الرابعة من كتاب هيكل.. وبين صفحات العنوان وكتابة إسم المؤلف بالخط الكبير .. تقابلنا صفحة المحتويات.. حيث يتضح من خلال جولة

بصرية سريعة فوق الأوراق أنه مكون من جزءين بعد المقدمة..

الجزء الأول بعنوان: خليج العواصف.. ويتكون من إثنى عشر فصلاً. تقول عناوينهم: الفصل الأول: عالم غريب.. غريب ـ الفصل الثانى: حروب البترول ـ الفصل الثالث: عوالم الوهم ـ الفصل الرابع: آفاق من فراغ ـ الفصل الخامس: حرب البترول الثانية ـ الفصل السادس: تجارة التهديد والحماية ـ الفصل السابع التجديد بأفكار معلبة ـ الفصل الثامن: وساوس إسرائيلية – الفصل التاسع: القرن الواحد والعشرين ـ الفصل العاشر: قوة تبحث عن هدف ـ الفصل الحادى عشر: على طريق تصادم محقق ـ الفصل الثانى عشر: الكويت.

ثم الجزء الثانى وهو نبوءات: حرب البترول الثالثة ـ وسوف يلاحظ القارئ أن الإستاذ هيكل قد خصص جزءاً بكامل أوراقه وفصوله للحديث عن حرب البترول الثالثة بعد ما قدم لنا خلال الجزء الأول فصلاً عن حرب البترول الثانية .. ولن نسبق الأحداث ونبحث عن الأسباب .. بل نترك الأوراق تحدثنا من خلال قلم المؤلف عن الحرب الثالثة ثم الثانية ..

ونعود من جديد إلى حديث تفاصيل الجزء الثانى من كتاب «حرب الخليج» .. حيث يتكون أيضا من إثنى عشر فصلاً ـ هم بالتفصيل:

الفصل الأول: نقطة اللاعودة ـ الفصل الثانى: على طريق اللاعودة ـ الفصل الثالث: الأزمة عند الذروة ـ الفصل الرابع: ساعات فاصلة ـ الفصل الخامس: القطار الأميريكى يتحرك ـ الفصل السادس: ضباب حول القمة ـ الفصل السابع: دبلوماسية الإشارات ـ الفصل الثامن: الأبواب المغلقة ـ الفصل التاسع: خطة الحرب ـ الفصل العاشر: الدقيقة الأخيرة ـ الفصل الحادى عشر: عاصفة الصحراء ـ الفصل الثانى عشر: ما بعد العاصفة !.

ثم بعد حديث جزءين.. هناك خاتمة بعنوان «البحث عن المستقبل».

* * *

(بمنتهى ذكاء السياسى المراوغ .. البارع فى استخدام كل حرف من حروف اللغة التى يتقنها .. وبحرفية الصحفى المخضرم الذى يحاول دائما أن يسيل لعاب القارئ تمكن هيكل من وضع تصور متكامل للموضوع الذى سوف يخوض فيه ـ واضعاً فى تصوره كل احتمالات التساؤل التى يمكن أن تدور فى ذهن من يقرأ أو يستمع لهذه الكلمات .. أو بمعنى آخر لقد حاول من خلال إسلوبه الصحفى أن يضيف أبعاداً جديدة تميزت عنها فى ظل أزمة الخليج.. وتعالوا معا نستكشف هذا الطريق كما نعرف كيف تناول هيكل هذه القضية .. وكيف عالجها من منظوره الخاص وفقا لمعلومات وبيانات يقول دائما إنها تخصه دون غيره..

فتراه فى تلك المقدمة التى اعتبرها دائما جزءاً أساسياً من الكتاب ـ بل كثيرا ما أذهب إلى القول بأنها مفتاح شخصية الكاتب والدليل الذى من خلاله نتمكن من الوقوف على منهج الرجل فى التفكير والكتابة ـ يوضح لنا أبعاد أزمة الخليج قبل وبعد حدوثها فى مختلف المستويات السياسية وعلى مستوى الأصعدة الاقليمية والعالمية.. فمثلا يحدثنا عن أزمة الخليج قبل الغزو قائلا: (لم يكن كل شئ هادئ فى الخليج قبل منتصف ليلة ٢ أغسطس ١٩٩٠ ـ حين تحركت القوات العراقيه إلى داخل حدود الكويت.. كان السلام الظاهر على شواطئ المنطقة وهماً !. والعمران المتزاحم على بعض البقع من هذه الشواطئ سراباً !! ... وتلك حالة طبيعية عندما يكون هناك كنز مدفون.. ويكون لهذا الكنز: صاحب يملكه، ومطالب به يدعيه، ومستفيد منه يعرف قيمته، ثم يجد الثلاثة معا كل لأغراضه أن التظاهر ! أدعى لتحقيق الرجاء ! ... وواقع الحال أن الخليج

تحول منذ حقبة ممتدة بإمتداد عصر النفط، إلى منطقة براكين مكتومة) !!.

هذا على مستوى شواطئ الخليج .. أما على المستوى الدولى فيقول هيكل: (على المستوى الدولى ـ قبل صيف ١٩٩٠ ـ كانت الامبراطورية الأميريكية مرهقة) ولكى يوضح لنا عوامل هذا الإرهاق يخوض بنا فى دروب التاريخ الأميريكى القريب وبالضبط منذ تولى كنيدى الرئاسة الأميريكية والوعد الذى قطعه على نفسه بأنه لابد من التخلص من الشيوعية. وتحقق للولايات المتحدة ما أرادت .. ولكن تكاليف النصر كانت فادحة !.

أميركا: هل جاءت من تلقاء نفسها ؟

ولا يتوقف هيكل فى حديث التاريخ الأميريكى عند هذا الحد بل يمتد به حديث الذكريات السياسية إلى أيام حكم الرئيس بوش.. ذلك الرجل ـ على حد قول هيكل ـ الذى لم يصدق نفسه حين رأى هو وشعبه انهيار الامبراطورية الشيوعية ـ ليس هذا فقط ـ بل يضيف: وبدا أن ضرورات الأشياء تفرض على الولايات المتحدة أن تعثر لنفسها على عدو جديد!!.

وهنا نلاحظ أن هيكل يحاول أن يجد مبرراً مقبولاً حتى بالنسبة لنفسه لتواجد القوات الأميريكية فى الخليج فور احتلال العراق للكويت !!. مع أن المنطق يجعلنا نقول أو نتساءل .. وهل القوات الأميريكية جاءت إلى الخليج من تلقاء نفسها؟!. أم أن الولايات المتحدة الأميريكية قد اتفقت مع العراق لإحداث هذا الغزو ولاتخاذه ذريعة من أجل الوصول إلى أرض البترول !!. ألم أذكر لكم فى بداية رحلة الكلمات أننا سوف نجد عبارات كثيرة.. يمكن أن نتوقف عندها كى ننقدها ونناقشها.. ولكن هنا ليس مقامها!!. إذن نواصل رحلتنا فى هدوء من جديد.

(أما على المستوى الأقليمي.. فيقول هيكل: (كانت منطقة الشرق الأوسط بما فيها العالم العربي في مرحلة فوضى شديدة). ولكي يوضح لنا مفهوم هذه العبارة. يدخلنا معه هذه المرة أيضا في دروب التاريخ الخاص بتلك المنطقة.. وطبعا هو يقصد في المقام الأول تاريخ الصراع العربي الإسرائيلي.. وقبل أن نترك حديث المقدمة نورد عبارة نقلها هيكل عن لسان «برجينسكي» مستشار الأمن القومي للرئيس الأميريكي الأسبق «چيمي كارتر».. فيقول فيها: إن أزمة الخليج أصبحت عاطفية بأكثر من اللازم، وشخصية بأكثر من اللازم، وعسكرية بأكثر من اللازم، وأيضا لن أتدخل في هذا القول بالقليل أو بالكثير.. لأنني لم أفهمها.. وأحاول فهمها..!!.

هيكل واللعب بالكلمات

مازلت أكرر حرفية هذا الرجل في نقل الكلمة تلو الأخرى.. هنا وهناك بما يريده هو وليس ما يريده القارئ .. وإلا كيف وعلى حسب ما سمعت.. يبيع هيكل مقالاته إلى الصحف الأجنبية بالكلمة.. أي والله.. نعم بالكلمة.. إنهم يحاسبونه على الكلمة بجنية إسترليني !!. ففي بداية حديث الكتاب بعد المقدمه حيث الجزء الأول والفصل الأول الذي إختار له عنوان يقول: «عالم غريب.. غريب».. يحاول هيكل أن يعطي طابعا مميزاً لأزمة الخليج . ويبدو ذلك جلياً من هذه الكلمات التي أنقلها بالحرف الواحد: «كل أزمة لها أجواؤها ولها أصواتها ولها ألوانها، بل ولها رائحتها ومذاقها الذي يبقى في الحواس ويستعيدها حية من مخزونات الذاكرة مهما تباعدت السنون.. ينطبق ذلك على أزمات العالم الكبرى، كما ينطبق على أزمات العرب».

وفي محاولة من هيكل لتفسير هذه العبارة حتى يأتي إلى حديث أزمة الخليج

يغوص فى أعماق التاريخ كى يعدد لنا هذه الأزمات بألوانها وروائحها ومذاقها على المستويين الدولى والعربى. ويتوقف بنا عند عبارة أخرى يستفتح بها حديثاً جديداً.. حيث يقول: (وكما فوجئ الكل بالغزو العراقى للكويت، فوجئ الكل بالطريقة التى بدأ بها الإتحاد السوفيتى يتعاون مع الولايات المتحدة منذ الساعات الأولى للأزمة).

ويبدو من سياق الحديث أن هذه هى أهم ملامح غرابة العالم الذى يحدثنا عنه هيكل عبر هذا الفصل الذى قسمه إلى أربعة أقسام اختار لكل قسم منهم إشارة برقم حسابى .. فتجده فى القسم رقم (٤) يقول: ولقد شاع فى بعض الأوقات خلال الأزمة والحرب أن الإنفجار كله نتج من أن العراق إصطدم بنظام دولى جديد له قوانينه المختلفة وقواعده.

وفى ختام هذا الفصل يقول هيكل: .. (وكانت مقادير العالم العربى أن يدخل إلى أزمة من أصعب أزماته وأخطرها وأعنفها وهو لا يعرف نفسه ولا يعرف محيطه القريب منه.. ولا يعرف عالمه.. وكانت النتائج مأسوية !!.)

* * *

ويقترب بنا هيكل خطوة أخرى من حديث الأزمة.. بعد هذا المدخل المثير.. فيحدثنا فى الفصل الثانى عن حروب البترول.. وكعادته يبدأ مشوار الكلمة بألغاز ثم يحاول من خلال بقية حديث الفصل أن يضع لنا النقط فوق الحروف ويترك للقارئ حرية اختيار الحل الذى يراه.. فتجده مثلا يقول فى مقدمة هذا الفصل: (فور قيام العراق باحتلال الكويت انهمر طوفان من بيانات الاستنكار والإدانه من داخل العالم العربى والعالم الخارجى.. كان التيار الغالب والتلقائى فى الأمة العربية على اختلاف شعوبها ـ شعورا بالمفاجأة والدهشة والقلق ـ وكان الموقف الرسمى للدول العربية على تعددها مختلفاً درجة أو درجات.

وأما في الغرب. فإن طرفان البيانات لم يقتصر على الاستنكار والإدانة.. وإنما كانت الإجراءات والاستعدادات أكثر سرعة من الكلمات.. إن واشنطن ولندن اتجهتا إلى خيار الحرب منذ الساعات الأولى، ولكن هذا الخيار كان يصعب تقديمه للرأي العام في الولايات المتحدة وبريطانيا على أنه قرار بالحرب من أجل البترول.. فعندما يطلب من الناس أن يعطوا دماءهم لهدف.. فإن هذا الهدف لابد أن يتم طرحه على شكل نبيل يساوى أن يدافع عنه الناس بدمائهم. وهكذا اختفت كلمة البترول، وانفسح المجال كاملا لفكرة الدفاع عن النظام الدولى الجديد والشرعية الدولية.

لقد كانت تلك كلها أهدافا نبيلة، وأما هدف البترول فلم يكن فيه شئ من ذلك النبل ولم تكن هذه هى حرب البترول الأولى فى منطقة الشرق الأوسط.. بل سبقها ثلاث معارك يمكن وصفها على حد قول هيكل بأنها حروب البترول الثلاث التى يتحتم الوقوف طويلا أمام كل واحدة منها لأنها جميعاً تمثل خطاً متصلا فى إتجاه ما وقع فى الفترة من ٢ أغسطس عام ١٩٩٠ حتى أواخر فبراير ١٩٩١ وإلى الآن وإلى مطالع القرن الواحد والعشرين، **ويحدد لنا هيكل تواريخ هذه الحروب وهى عام ١٩٤٨ ومعركة السويس عام ١٩٥٦ وعام ١٩٦٧ ــ ولا نعرف لماذا نسى أو تناسى هيكل حرب ١٩٧٣. فربما لأنها الحرب الأولى التى انتصر فيها العرب على عدوهم الأول بصرف النظر عن كونها حرب بترولية أو حرب صواريخ. أو ربما لأنها الحرب التى انتصر فيها المرحوم الرئيس السادات الذى اختلف مع هيكل كثيراً !!...**

وفى موضع آخر من هذا الفصل يحدد لنا هيكل ملامح هذه الحروب الثلاثة بعيدا عن الصراع العربى الإسرائيلى الذى كان قد ذكره من قبل.. أولها معركة ٧٣.. وثانيها الحرب العراقية الإيرانية.. وأخيرا هى حرب الكويت وعلى حد

قوله.. وهى فى المحصلة النهائية قضية بترول الخليج.. ولعلنا نقول قبل أن نقترب من عتبات هذا الفصل أن هيكل يمارس هوايته فى كتابة التاريخ، لذلك نجده يحدثنا خلال هذا الفصل عن قصة تاريخ البترول العربى وطمع الدول الغربية فيه منذ بداية ظهوره.. ثم قصة الصراع بين هذه الدول على الاستحواذ على البترول العربى وما سبب ذلك من حروب أطلق عليها هيكل حروب البترول، وليس هذا فقط.. بل يركز حديثه خلال الفصل التالى عن تأثير الحظر البترولى الذى استخدمه العرب بنجاح فى حرب أكتوبر عام ١٩٧٣ ـ وكيف استعد الغرب للقضاء على ظاهرة هذا الحظر مهما حدث من حروب فى منطقة الشرق الأوسط مستقبلا وقد ظهر ذلك جليا فى ذلك المؤتمر الذى عقد فى باريس عام ١٩٧٤ والذى وضع برنامجاً من سبع نقاط لمواجهة أزمة الطاقة فيما بعد.

حشر لأشخاص وموضوعات

وفى موضع آخر عن ذات الموضوع يقول هيكل: (.. وكان كيسنجر أول من لمح أوهام العرب ووجدها مواتية للخطة الأميريكية ذات النقاط السبعة .. ولقد رأى هو والرئيس نيكسون ثم هو والرئيس فورد بعدها استغلال عنصر إضافى آخر إلى معادلة الشرق الأوسط، وكان هذا العنصر هو شاه إيران !!.

ويبدو أن هيكل قد حشر موضوع شاه إيران فى كتابه حتى يكون فرصته لكتابة فصل جديد عن الثورة الإسلامية فى إيران وطبعا كله من أجل عيون الناشرين والربح الكثير. ليس هذا فقط.. بل أيضا وجدها فرصة كى يقول لنا رأيه فى كتاب «آيات شيطانية» للأفاق «سلمان رشدى» !.

* * *

ما علينا مما فات.. المهم نصل مع مؤلفنا محمد حسنين هيكل إلى حديث

حرب البترول الثانية .. وطبعاً يقصد بها الحرب العراقية ـ الإيرانية.. وأيضا قد اختار هذه المرة مدخلا متواصلا لحديثه السابق عن الثورة الإيرانية.. بهدف إحداث نوع من التواصل فى كتاباته خلال هذا المؤلف الضخم.. ويبدأ حديثه هنا بقوله: (كانت مشاهد الحرب العراقية ـ الإيرانية تستعيد إلى الذاكرة مشاهد الحرب العالمية الأولى !!... كان الضحايا على الجانبين ١٠ آلاف شاب سقطوا على حواف الخنادق .. ويتعمق هيكل فى القول أكثر حيث يقول: كان النظام الإيرانى قد أغضب الغرب.. وكانت علاقات الغرب ببغداد أفضل قليلاً .. وكان التقرير إن طول الحروب وزيادة التكاليف سوف يؤدى إلى تحجيم دور العراق الإقليمى حتى وإن خرج من الحرب منتصراً!

كما بدا الموقف الأميريكى فى أوائل تلك الحرب أقرب إلى العراق منه إلى إيران.. كما أن المتتبع لحركة السياسة الأميريكية طوال هذه الحرب كان فى وسعه أن يلاحظ على الفور أن هذه السياسة تسير فى خط ملئ بالمتعرجات.

وفى أثناء الحديث عن هذه الحرب نجد هيكل يلمح إلى تجارة السلاح فى المنطقة وكذلك يشير إلى الاتفاقات العسكرية التى كانت تتم بين الدول العربية. وأيضا إلى صناعة الأسلحة وعلى وجه الخصوص صناعة الاسلحة الكيماوية. وينقل لنا هيكل جو الحرب فى هذه العبارة «إن رائحة الموت هى الرائحة التى تملأ أجواء هذه المنطقة، والأعلام السوداء وصور الشهداء هى أول من يطالع العين أينما توجهت» .

نقطة جديدة وجديرة بالمناقشة.. تلك التى يثيرها هيكل من خلال الفصل السادس وهى وإن كانت بعيدة عن موضوع أزمة الخليج إلا أنها مربتطة بها بشكل غير مباشر.. إنها مسألة تجارة التهديد والحماية ومعناها أن تبيع الدولة لدولة أخرى أى خطر يهددها.. وأبرز مثال على هذه التجارة التى أصبحت من أكبر

الظواهر فى النظام الدولى : ان الولايات المتحدة الأميريكية كانت تبيع لألمانيا الغربية (قبل الوحدة) خطر التهديد المتمثل فى الإتحاد السوفيتى، وكانت ألمانيا تدفع.. ونفس الخطر المتمثل فى التهديد السوفيتى كانت الولايات تبيعه لليابان، وكانت اليابان تدفع ـ كما كان الدور الذى تقوم به إسرائيل فى الشرق الأوسط نموذجا مطورا ومركبا فى تجارة التهديد والحماية..

ويشير هيكل إلى هذا النوع من التجارة قد سبق ظهوره فى مجتمعات الأفراد قبل أن يحل فى المجتمعات الدولية.. فاشهر النماذج المعاصرة لذلك هى عصابات المافيا.. ومن خلال حديث هذا المدخل الجديد يصل هيكل إلى حديث البترول وموقفه من هذا النوع من التجارة حيث يقول: (إن كنز الشرق الأوسط المتمثل أساسا فى البترول أصبح مجالا مفتوحا لسياسات التهديد والحماية. وقد كانت الكويت أقرب أجزاء هذا الكنز إلى مخاطر التهديد الطارئ، ولم يكن صدى دوى المدافع وحده الذى يصل إليها، وإنما طالتها شظايا الحرب، خصوصا عندما سقطت شبة جزيرة «الفاو» وجزر «مجنون» فى يد القوات الإيرانية عام ١٩٨٦ .

وطوال هذا الفصل يحدثنا هيكل عن محاولات دولة الكويت المتنوعة من أجل شراء الحماية إزاء التهديد الإيرانى لصادرات بترولها خلال الحرب العراقية الإيرانية .. بداية من طلبها الحماية الدولية من قبل الأمم المتحدة ونهاية بلجوئها إلى استئجار ناقلات بترول عملاقة سواء من الولايات المتحدة أو من الاتحاد السوفيتى. ثم إعلانها الرسمى «أى دولة الكويت» رفع العلم الأمريكى على إحدى عشر ناقلة كويتية بهدف شراء الحماية لها.

ولكن ماذا بعد أن انتهت تلك الحرب التى استمرت قرابة ثمانى سنوات؟!.. لقد خصص هيكل الفصل السابع للإجابة على هذا السؤال.. حيث اختار له عنواناً يقول: التجديد بأفكار معلبة... ويقول فى بدايته حينما سكتت مدافع

حرب البترول الثانية بعد قبول كل من إيران والعراق بقرار مجلس الأمن رقم ٥٧٩ خرج الجنود من خنادقهم ليروا ضوء الشمس، ولكن بقية الناس من غير الجنود ظلوا فى الخنادق النفسية التى حفرتها تجربة الحرب .. لقد ظل الشرق الأوسط، والعالم العربى فى قلبه، فى أوضاع لا تسمح له بمواجهة المستقبل.

وظل الناس فى خنادقهم يفكرون !!. ولم يكن هناك بلد عربى إلا وهو مشغول مع الآخر بجبهة مفتوحة تستحوذ إهتمامه!. ومن خلال حديث هذا الفصل يلقى بنا هيكل فى خضم أحداث سياسية نشأت بعد إنتهاء حرب الخليج ـ تلك التجمعات السياسية الإقليمية العربية التى تمثلت فى إقامة إتحادات إقليمية مثل فكرة إنشاء مجالس للتعاون الإقليمى ويرى أنها رغم كونها فكرة جديدة إلا أنها لم تكن خطوة إلى الأمام، بل خطوة إلى الخلف.. والسبب كما يقول هيكل: (أنها قد استغنت عن الإطار الواحد الذى كان مفروضا أن يجمع العالم العربى الواحد فى منظمة واحدة).

وهناك سؤال آخر يطرحه المؤلف من خلال فصل جديد.. تقول كلماته.. وأين كانت إسرائيل من هذه التغيرات السياسية التى بدأت تظهر فى العالم العربى آنذاك وفى الرد على ذات السؤال يقول المؤلف من خلال مقدمة هذا الفصل: لم يكن هناك بلد يتابع ما يجرى فى العالم العربى بدقة ويقظة أكثر من إسرائيل.. وكانت متابعتها أيضا بشئ من العصبية والقلق. فعندما قام مجلس التعاون العربى، فإن إسرائيل عبر قنوات إتصال متعددة أبدت قلقها لمصر. وعندما طرحت فكرة إنشاء فيلق عربى مشترك لدول مجلس التعاون العربى، أبدت إسرائيل قلقها حقيقيا، وعندما إعتذرت مصر عن الإشتراك فى هذا الفيلق المقترح، لم تسترح إسرائيل لأنها راحت ترصد المعلومات عن مضى العراق والأردن معا فى تنفيذ الفكرة الثنائية. لقد كانت إسرائيل قد رصدت تطور ونمو القوة العسكرية العراقية

.. كما تابعت قدراتها فى المرحلة الأخيرة من العمليات على جبهة الحرب مع إيران. ليس هذا فقط.. بل يضيف هيكل بقوله رداً على السؤال: (وكان العراق بالتحديد مع حيرة إسرائيلية لا تستقر على رأى لعدة أسباب يعددها لنا خلال هذا الفصل.

* * *

ويعود هيكل كى يتحدث من جديد عن البترول.. ولكن هذه المرة يحدثنا عنه من حيث أهميته الإستراتيجية خاصة ونحن فى القرن الواحد والعشرين.. تلك الأهمية النفطية لبترول الشرق الأوسط من حيث كونه سلعة حيوية لإستمرار الحياة فى السلم والحرب.. وكون وجود إحتياطى كبير فى هذه المساحة الضيقة من العالم.. كذلك فى ظل زيادة استهلاك الدول الصناعية منه وزيادة الطلب عليه والتسابق على موارده.. إن كنزا بهذا الغنى وبهذه الأهمية كان يتطلب وبإلحاح شديد حماية تصد المطامع والأهواء. وكانت هناك باستمرار خطة عسكرية لحماية الخليج. وكانت هذه الخطة تتصور الخطر على المنطقة فى ذلك الوقت من مصدرين أحدهما الاتحاد السوفيتى والثانى خطر محلى قد ينشأ نتيجة مغامرة إقليمية يقوم بها طرف من الأطراف!!. وكان القرار الأميريكى فى نهاية المطاف هو إنشاء قوة تدخل سريع أميريكية تتمركز فى أميريكا نفسها وتكون جاهزة كى تحمل إلى المنطقة عند أى طارئ.

ومن الإهتمام استراتيجيا بالبترول إلى حديث العلاقة المميزة بين أميريكا والعراق.. حتى بعد انتصار العراق فى حربها مع إيران.. خاصة بعد ما نجحت الولايات المتحدة فى مواجهة إمبراطورية الشر وتفكك الاتحاد السوفيتى. ومن ثم بدأت دول عديدة من أعضاء حلف الاطلنطى تراجع التزاماتها العسكرية إزاء هذا الحلف الذى أصبح بلا وظيفة!. حتى داخل الولايات المتحدة نفسها بدأت

عملية مراجعة فيما يخص ميزانية الدفاع الأميريكية. وبات هناك شعور عام بأن الوقت قد حان لتحويل حزء من الأعباء الباهظة لسباق التسلح إلى خدمات يشعر بها المواطن الأميريكي. فى ذات الوقت بدأ الرئيس بوش ووزير دفاعه على حد قول هيكل (المطالبة بزيادة ميزانية الدفاع بدلا من خفضها.. وبالتالى كان لابد للادارة الأميريكية أن تبحث عن خطر مقنع يبرر حجم هذه المطالبة بالزيادة الجديدة. وكان ذلك إيذانا ببداية إحتكاك حقيقى للولايات المتحدة الأميريكية فى منطقة الشرق الأوسط.. بلغ ذروته فى حرب الخليج). ويختتم جولته عبر هذا الجزء حيث نصل معه إلى الفصل الثانى عشر. وقد خصه بحديث عن دولة الكويت ودورها فى حرب البترول سياسيا وتاريخيا وإقتصادياً .. ويختتم حديث هذا الجزء بقوله:.. كانت المشاكل الاقتصادية التى نجمت عن انهيار أسعار البترول - هى البداية ثم إستدعت الاسعار قضية تضحيات العراق فى الحرب مع إيران، ثم إستدعت الحدود كل حكايات الجغرافيا والتاريخ.. واختلط.. الحابل بالنابل.

* * *

البحث عن كلمة حق !!

ها نحن على مقربة حروف من حديث الجزء الثانى من الكتاب الضخم .. وقد اختار له المؤلف عنواناً يقول: حرب البترول الثالثة.. وطبعا هيكل يقصد من هذا العنوان الحديث عن حرب الخليج الأخيرة.. أو الحرب التى نتجت عن اجتياح العراق للكويت.. وهناك حقيقة لابد أن أسجلها كانطباع شخصى لكاتب هذه السطور.. قبل الانتقال إلى حديث الجزء الثانى.. حيث إننى طوال أكثر من مائتين وخمسين صفحة هى كل عدد صفحات الجزء الأول.. لم

أنظر على نلمنا حتى قالها صاحب الكتاب عن أسباب حرب الخليج الحقيقية.. وكنت أتصور أنه قد خصص هذا الجزء لحديث التمهيد عن أسباب تلك الأزمة التي لا يختلف اثنان من العقلاء على القول بأن السبب وراء تفجيرها هو صدام حسين.. ولا أحد غيره.. وليس كما يحاول أن يصور لنا هيكل ان السبب في الاساس هو البترول، وصراع الدول الكبرى من أجل السيطرة على هذه الدول التى تنتج نصف إنتاج العالم من البترول! وعلى أية حال.. انني وأنتم معى سوف نهيأ أنفسنا كي نستمع أكثر لكلمات هيكل بعد ما وصلنا معه معا إلى حديث أزمة الخليج أو ما أسماه هو «حرب البترول الثالثة».

* * *

وكما مر بنا من قبل فقد قسم المؤلف هذا الجزء إلى إثنى عشر فصلاً.. بدأه بفصل بعنوان «نقطة اللاعودة».. ويبدو أن هيكل سوف يتخذ خلال حديث هذا الجزء نفس المنهج الذى إتبعه فى الجزء السابق.. من حيث التمهيد التاريخى للحدث قبل الإقتراب المباشر من الموضوع الذى هو صلب الكتاب.. ويتضح ذلك من قول هيكل فى بداية هذا الفصل.. (مع قرب نهاية عام ١٩٨٩ واقتراب عام ١٩٩٠)، كانت نذر العواصف تتجمع فوق الخليج، ولكن الاهتمام العربى بدا منصرفا عن الشخصيات المعبأة بالخطر، مركزاً هناك على شاطئ الاطلنطى ينتظر مؤتمر قمة عربى يجرى الترتيب لعقده بالدار البيضاء، وكانت القمم العربية قد أصبحت وحدها محركات العمل العربى.

وفى موضع آخر يقول عن نفس الموضوع.. (إن المناخ الذى أحاط بهذا المؤتمر بالدار البيضاء فى نوفمبر ١٩٨٩ يستحق عملية رصد دقيقة تحيط قدر الإمكان بآفاقه).. وحينما نستسلم لوجهة نظر هيكل فى تتبع أخبار هذا المؤتمر أملا فى معرفة علاقته بأزمة الخليج نفاجأ بأنه يحدثنا عن أن هذا المؤتمر كان

هدفه الجديد «دعم الإنتفاضة» !!. ومن بعد حديث أروقة هذا المؤتمر يعلنا المؤلف إلى حديث توتر العلاقة بين الكويت والعراق بدءا من هذا التاريخ ومحاولات الدبلوماسية تهدئة الموقف بين البلدين..

فكانت زيارة أمير الكويت في نهاية شهر سبتمبر عام ١٩٨٩ إلا أنه وبعد شهور على حد قول هيكل احتدمت الخلافات بين البلدين حول موضوع أسعار البترول وحصص الأوبك وتزايدت الحرارة بين البلدين.. فقد تداخلت القضايا واختلطت مثل قضية المساعدات المالية مع قضية الحدود، مع قضية أسعار البترول.. ليس هذا فقط بل إن هيكل يلقى نظرة شاملة على الأوضاع السياسية فيما يتعلق بعلاقة العراق بغيرها من الدول سواء العربية أو الأجنبية ويتضح ذلك فى قوله: (وكان ذلك كله دائراً بين البلدين على خلفية الأزمة المتصاعدة بين العراق والغرب.. ومن أجل تصفية الأجواء العربية ثم عقد مؤتمر قمة عربى جديد فى بغداد.. وافتتح المؤتمر يوم ٢٨ مايو١٩٩٠ .. ولقد كتبت جريدة الـ «واشنطن بوست» افتتاحية فى التعليق على أوضاع الشرق الأوسط جاءت فيها فقرة لافتة للنظر وهى: إن وقائع قمة بغداد وخطاب صدام حسين كانت هى المناسبة التى تأكدت فيها أجهزة إدارة السياسة الخارجية الأمريكية من أن هدف صدام حسين ليس فى إسرائيل، ولكنه فى الخليج.

* * *

أعتقد أننا قد أصبحنا منذ كتابة هذه الجملة على أبواب حديث أزمة الخليج.. منذ غزو العراق الكويت.. ودليلنا فى ذلك قول هيكل «إن المفاجأة الحقيقية فى الغزو العراقى للكويت هى أن هذا الغزو جاء متناقضاً مع كل الحسابات والتقديرات العراقية كما عبر عنها صانعو القرار العراقى بأنفسهم فى المرحلة السابقة على هذا الغزو».

ومع إيمان هيكل بهذا القول إلا أنه يعود ويقول مناقضا حديثه الأول: «إن العراق عام ١٩٩٠ كان لديه ما يدعوه إلى الشك بأنه يواجه مؤامرة واسعة النطاق شاركت فيها أطراف عربية بصرف النظر عما إذا كانت هذه الأطراف على علم كاف أو على غير علم !!!.

ويستشهد على ذلك بنشر وثيقة استولت عليها قوات الإحتلال العراقى من داخل القصر الأميرى بالكويت!!. ثم يعود ويدافع عن صدام حسين فى هذه الأزمة ويلقى بالتبعية على طارق عزيز نائب رئيس الوزراء العراقى ووزير الخارجية الذى طرح من خلال الجامعة العربية فى تونس رسالة العراق وفيها حديث عن ترسيم الحدود وأخطاء الكويت فيما يتعلق بالبترول!. ثم محاولات احتواء هذه الأزمة الجديدة التى فجرتها العراق.. ودور مصر فى هذا المجال.. فى الوقت الذى أشار فيه السفير الكويتى فى بغداد فى رسالة إلى حكومته بوجود تحركات عسكرية عراقية تتجه نحو الجنوب أى نحو الحدود الكويتية!. وكانت وكالات الأنباء تؤكد فى ذات الوقت تحركات حشود عسكرية متجهة إلى الجنوب.

وفى الأيام القليلة السابقة على الغزو ـ كانت هناك اختلافات فى الرؤى والتصرفات بين ست من العواصم المهتمة بالأزمة أو المشاركة فيها بدور ما.. وهيكل يفرد لعرض وجهات النظر هذه فصلا كاملا بعنوان «الأزمة عند الذروة».. ومن خلاله كذلك يحدثنا عن الجهود الدبلوماسية التى ارتفعت درجة حراراتها فى مختلف هذه العواصم من أجل حل الأزمة بين الكويت والعراق بالطرق السلمية.. مع تأكيدات صدام حسين المتكررة حتى للرئيس مبارك من أنه لن يستخدم القوة العسكرية.

ومادمنا قد إقتربنا معا من حدود الأزمة وتوقفنا عند الجهود الدبلوماسية.. فلابد لنا أن نواصل المسير حتى نعرف النهاية.. تلك النهاية التى سجلها محمد

حسنين هيكل في قوله: (لقد كانت واشنطن تتابع ما يجرى في تلك الساعات وكانت هناك أكثر من جهة تشارك في عملية المتابعة ـ وزارة الدفاع بإداراتها المختلفة .. خاصة إدارة الاستطلاع التي أخذت تعيد قراءة آخر صور أرسلتها الأقمار الصناعية والتي أثبتت أن ساعة الصفر أصبحت معروفة.. وأنه غزو العراق للكويت بات وشيك ساعات!.

حلول هيكل الوهمية

وبالفعل ففي الساعة الخامسة من فجر يوم الخميس ٢ أغسطس ١٩٩٠ وقع الغزو وأول من عرف به الملك فهد بن عبد العزيز. وخلال أيضا فصل كامل ينقل لنا هيكل تأثير هذا الغزو على العواصم العربية وكيف كانت ردود الفعل تجاه هذا الحدث المؤسف.؟ بإعتبار هذا الغزو مفاجأة لا مثيل لكل الأطراف العربية التي اقتربت من هذه الأزمة قبل الغزو. هذا عن العواصم العربية.

أما في عاصمة الولايات المتحدة فلم تكن المفاجأة صاعقة، على حد قول هيكل .. لأن واشنطن كانت تنتظر الضرب.. وكانت أول إشارة ببدء الغزو العراقي للكويت وصلت إلى واشنطن ـ رسالة من كلمتين بعث بها الأميرال «بيك أوينز» قائد الأسطول الأميريكي السادس في البحر المتوسط.

لقد كانت الرسالة موجهة إلى «تشيني» وقد وصلت في المساء المبكر بتوقيت واشنطن وفيها «العراقيون إخترقوا». ولكن هل كان رد الفعل لدى أميريكا مثلما كان لدى العواصم العربية الأخرى.. هذا ما يؤكد عليه هيكل.. ويوضح لنا عمق الخلاف في رد الفعل هذا بقوله: (قال بوش: إنه يريد أن يجيء الجنرال «شوارتزكوف» إلى واشنطن وأن ينضم في الصباح إلى الإجتماع المقرر في مكتب الرئيس وعليه أن يجيء معه بكل أوراق خطط العملية «١٠٠٢ ـ ٩٠» ..

لقد كان بوش يوجه حديثه إلى وزير دفاعه «تشينى». وهذه الخطة كانت تعنى التدخل العسكرى الشامل على أوسع نطاق.. بدلاً من توجيه ضربة جوية قوية موجعة قد لا تكون مؤثرة. ومن قبل القيام بهذا العمل العسكرى ينقل إلينا هيكل ما دار فى كواليس قصور الرئاسة ما بين القاهرة والرياض وعمان ـ ثم واشنطن.

فى حين تقرأ ما ينقله لنا.. تشعر أنه يلقى بالتبعية فى القيام بالأعمال العسكرية ضد العراق على الولايات المتحدة الأميريكية رافضين الحلول السياسية!!. ونحن نتساءل مع غيرنا.. أى حلول سياسية كان يحلم بها الإستاذ هيكل !!؟!. أمام دولة معتدية.. سمحت لنفسها بإحتلال دولة عربية أخرى .. لا ذنب لها سوى أنها غنية!!.

* * *

ويستمر مسلسل الحديث عن تلك الأزمة التى تتبع وقائعها المؤلف بكل تفصيل .. فهو يحدثنا فيما بعد عن تحرك القطار العسكرى الأميريكى متجها إلى الشرق الأوسط.. متخذا البداية بالقول: (صباح يوم ٤ أغسطس كان الرئيس بوش فى كامب ديفيد .. وقد دعا كل كبار مستشاريه.. وبدأ الرئيس بوش حديثه فعرض لتطور الأزمة بسرعة ثم خلص إلى أن العمل الأميريكى يجب أن يتحرك بسرعة. ومن بعد هذا الاجتماع توجه وزير الدفاع الأميريكى إلى جدة للقاء الملك فهد) .. وفى خلال هذه الزيارة تمت على حد قول هيكل مناقشة كافة الاحتمالات العسكرية الأميريكية لتحرير الكويت والدفاع عن الأراضى السعودية.

ثم يعود هيكل كى يحدثنا عن الجهود الدبلوماسية العربية التى سبقت العمليات العسكرية.. ونشعر من خلال كلماته بأنه قد حكم على هذه الجهود بالفشل قبل القيام بها.. فبعد أن دعا الرئيس مبارك لعقد قمة عربية بالقاهرة

وبعد توافد الوفود العربية.. ذكر هيكل قوله: .. والواقع أن إمكانيات الوصول إلى حل عربى للأزمة كانت فى تلك اللحظة تتلاشى، فقد بدأ وصول قوات مغربية إلى السعودية.. كما أن مصر راحت تستعد لإرسال مجموعة مقدمة إدارية تستطلع أماكن إيواء القوات عندما يجئ وقت تمركزها فى السعودية! ويؤكد وجهة نظرنا فى موقف هيكل أنه قد خصص فصلا كاملا للحديث عن ضباب حول القمة !.

* * *

حتى هذه اللحظة لم يتبق أمامنا عبر هذه الرحلة الطويلة سوى سطور قليلة وفصول كبيرة.. ولكن الحقيقة أن ما بها ليس جديدا كله.. فقد سبق أن قرأنا عنها كثيرا فى مئات من الكتب التى صدرت باللغات الاجنبية أو العربية.. ولكنى ربما يكون الجديد فى فصول هيكل المتبقية.. هو التفصيل الزائد.. والغوص وراء الأحداث فيما وراء الكواليس.. فبعد الحديث عن ضباب القمة العربية.. واقتراب ساعة الصفر.. يحدثنا عن دبلوماسية الإشارات حيث لاحت إشارات ابتداء من يوم ٥ أغسطس ١٩٩٠ توحى بأن العراق بدأ يشعر بشكل ما أنه يواجه خطرا داهما.. وأن ردة الفعل التى وجدها أمامه بعد غزو الكويت كانت أخطر بكثير مما حسب وقدر.

ثم حديث الأبواب المغلقة حيث توصلت القيادة العراقية منذ وقت مبكر من الأزمة إلى أن الأمور قد خرجت من يد الدول العربية، وأن الولايات المتحدة قد أمسكت بكل خيوط الأزمة. ومن ثم يقترب بنا إلى حديث خطة الحرب وتفاصيلها وماكان قبلها ثم حديث عاصفة الصحراء.. والدقيقة الأخيرة قبل إطلاق أول قذيفة أو شرارة إيذانا بحرب تحرير الكويت.. أو حرب البترول الثالثة على حد قول محمد حسنين هيكل!!.

تمهيد

كلمات من باب النقد

على هامش
كتاب هيكل

بعد هذه الجولة المرهقة عبر صفحات كتاب هيكل «حرب الخليج ـ أوهام القوة والنصر» . وبعد استعراضنا لمحتوياته.. نتوقف عند الجزء الثانى من الرحلة حيث نلتقى مع بعض الذين ناقشوا الكتاب ووجهوا إليه انتقاداتهم ولن نكتفى بتسجيل كل ماقالوه فقط.. بل سوف نشاركهم المناقشة..

حيث ننقل عبر هذه الصفحات الوقائع والأحداث التى ثارت حولها الشكوك وكانت مثار مناقشة ونقد.. الأمر الذى سوف يجعلنا ننقل لكم صفحات بكامل كلماتها كما كتبها هيكل.. ثم نورد بعدها المناقشة والنقد. حتى نصل إلى ما وعدنا به من الإلتزام بالحياد.. وما أحب أن أنوه عنه فى البداية.. أن كتاب هيكل صدر باللغتين الانجليزية والعربية وأن هناك من الاحداث والوقائع السياسية والعسكرية أغفلها هيكل فى الطبعة العربية، وكانت تلك الوقائع من أكثر الموضوعات التى كانت مثار نقد من جانب الكتاب والصحفيين المصريين.. وعلى رأسهم الدكتور عبدالعظيم رمضان.. ومحمد جلال كشك. وقد شهدت الصحف والمجلات المصرية العديد من المقالات التى تناولت هذا النقد.

وبخلاف حديث هذه المقالات فقد طالعتنا الصحف المصرية بموضوع يحمل نقداً رسمياً.. وتكذيبا حكوميا صدر من إحدى الدول الإفريقية فيما يتعلق بواقعة ذكرها هيكل تخص هذه الدولة.. وسبب تناولنا لهذا التكذيب فى بداية حديث النقد أن مصدره رسمى.. ويعد الأول من نوعه فيما يتعلق بأحدى الكتب العربية.. الذى يصدر من أجله تكذيب رسمى عن طريق وزارة الخارجية. وإن كانت هذه الظاهرة ليست جديدة بالنسبة للكتب الأجنبية التى تتحدث عن مثل هذه الأزمات.. فقد إعتبرها العديد من النقاد السابقة الأولى من نوعها على مستوى الكتاب والمؤلفين العرب..

* تكذيب رسمى :

تحت هذا العنوان صدرت الصحف المصرية [1] على اختلاف انتماءتها فى صبيحة يوم الأربعاء من محرم ١٤١٣ الموافق ١٥ يوليو ١٩٩٢ .. تقول وتعلن عن تفاصيل هذا التكذيب.. ففى جريدة أخبار اليوم جاء الخبر بالشكل الآتى: إفريقيا الوسطى تكذب هيكل.. وتقول: لم نشترك فى حرب الخليج.. هذا عن العنوان أما تفاصيل الخبر فيقول:

نفى المتحدث الرسمى بوزارة الخارجية ما جاء فى كتاب محمد حسنين هيكل «أوهام النصر» عن حضور طائرة تقل قوات من جمهورية افريقيا الوسطى لمطار القاهرة أثناء أزمة الخليج وإبلاغ قيادة هذه القوات للسلطات المصرية أنها فى طريقها للسعودية للمشاركة فى القتال.

وقال إن ذلك غير صحيح جملة وتفصيلا فلم يحدث أن حضرت قوة من جمهورية افريقيا الوسطى لمطار القاهرة أو أى مطار مصرى آخر. وكانت حكومة

(١) نشر هذا الخبر بجميع الصحف المصرية فى ١٩٩٢/٧/١٥، أنظر الملحق فى ختام الكتاب.

جمهورية افريقيا الوسطى قد تقدمت بشكوى رسمية للخارجية المصرية أكدت فيها أنه لم يحدث أن شاركت قوات من افريقيا الوسطى فى العمليات العسكرية فى الخليج وأنه ببحث الموضوع مع السلطات المختصة المصرية تبين أن الموضوع مختلق تماماً وليس له أساس من الصحة.

وذكرت حكومة افريقيا الوسطى فى شكواها التى تقدمت بها إلى الخارجية المصرية أنه لم يحدث أن توقفت أيه طائرة تابعة لها بأى مطار مصرى فى طريقها للسعودية. وأن افريقيا الوسطى لم تشارك بأية قوات فى تحرير الكويت وان اختلاق واقعة كهذه من جانب كاتب صحفى مصرى يمكن أن يسيئ إلى العلاقات بين البلدين واختتم المتحدث باسم الخارجية تصريحه بأن تضمين الكتاب المذكور هذه الواقعة المختلقة هو أمر مؤسف يسيئ إلى حرية النشر التى تسعى مصر إلى ترسيخها فى الواقع المصرى. (إلى هنا وانتهت تفاصيل الخبر)..

وقد لاحظنا أن النشر فى كل الصحف المصرية قد صاحب خبر آخر عن رسالة للرئيس مبارك من رئيس افريقيا الوسطى تسلمها الدكتور أسامة الباز مدير مكتب الرئيس مبارك للشئون السياسية بما يوحى أن هذه الرسالة متعلقة فعلا بموضوع التكذيب الخاص بكتاب هيكل.

وبمتابعة سريعة ومتأنية لتفاصيل هذا الخبر فى الصحف الصادرة فى نفس اليوم وجدنا أن الصيغة تكاد تكون واحدة فى الصحف القومية بل الصحف الحزبية أيضا.. مثل صحيفة الوفد اليومية. إلا أن صحيفة الأهرام قد أوضحت أن تفاصيل هذه الواقعة قد ذكرها هيكل فى الطبعة الانجليزية فى صفحة (١٨) حيث قال بالحرف الواحد: «إن طائرة محملة بالجنود من افريقيا الوسطى قد توقفت فى مطار القاهرة فى طريقها إلى المملكة العربية السعودية أثناء حرب الخليج أثناء أزمة الخليج. وأضاف: إن المسئولين المصريين فى المطار أبدوا دهشتهم

وتساءلوا عن سبب قيام هذا القطر الافريقى بإرسال قوة عسكرية إلى السعودية، فكان رد قائد القوة إن بلاده تسعى للحصول على عون مالى.. ولما كانت الولايات المتحدة توزع المال على هؤلاء الذين يشاركون فى الحرب فإن جمهورية افريقيا الوسطى بادرت بإرسال هذه القوة لكى تحصل على نصيبها من هذه الأموال» .. وجاء التكذيب الرسمى من حكومة افريقيا الوسطى مكذبا لما تناوله هيكل فى كتابه وملقيا الضوء على أن العديد من المعلومات تعمد نشرها فى الطبعة الإنجليزية من الكتاب بينما حذفت من الطبعة العربية تحسبا لمثل هذه الأمور!!.

الفصــل الثــانى

هيــكــل

بيــن

كشـك ورمـضـان

- **كلام بالعـربى وآخر بالانجليزى**

وننتقل الآن إلى نقطة أخرى من نقاط إلقاء الضوء على أهم ما أثير حول ما وجه إلى كتاب هيكل من نقد ومناقشة تصدى لها كاتبان مصريان نشرا نقدهما فى الصحف والمجلات. هما الكاتب الصحفى محمد جلال كشك.. والدكتور عبدالعظيم رمضان. وأيضا بمتابعة متأنية من جانبى وجانبكم سوف تلاحظون أن موجات النقد هذه قد إنطلقت متفرقة وبدون سابق إتفاق على موعد..

كما سوف تلاحظون اختلاف رؤية كل من الكاتبين فى هذا النقد.. حيث تفرغ جلال كشك لتفنيد كل ماجاء فى كتاب هيكل الذى أصدره باللغة الانجليزية.. ونجح إلى حد بعيد فى نقل وقائع وأحداث وجمل وعبارات أغفلها هيكل فى الطبعة العربية.. بينما نشرها بالتفاصيل فى الطبعة الإنجليزية.

أما الدكتور عبد العظيم رمضان.. فقد خصص مقالا إسبوعيا.. للرد على كل كلمة وواقعة وحادثة ذكرها هيكل فى طبعة كتابه الذى صدرت باللغة العربية. فقد كان الدكتور عبدالعظيم رمضان ومايزال يختار جملا بكامل كلماتها كى يرد عليها رداً تاريخياً ويناقشها مناقشة موضوعية من واقع ما لديه من مستندات وما يحمله من علم غزير حيث تخصص فى التاريخ الحديث.. بجانب

ما يعرفه من حقائق الأمور بحكم إقترابه من الحياة الثقافية والفكرية المصرية حيث يكتب في الصحف والمجلات المصرية..

وأرجو أن يجد لى القارئ عذرا حين اخترت هذا العنوان الفرعى.. فقد فضلت أن أسوق إليكم الموضوع بدون رتوش حتى من العنوان.. فها هو محمد حسنين هيكل.. قد اخترت له الإسم الأخير من بطاقته العائلية وكذلك الكاتب الصحفى محمد جلال كشك.. وأيضا الاستاذ الدكتور عبد العظيم رمضان.

* * *

والآن.. وبعد لحظات سوف نبدأ الإنطلاق نحو ذكر تفاصيل هذه المعركة النقدية التى فجرها كتاب هيكل.. حيث تكون وجهتنا أولا نحو كلمات كشك التى خصصها لتفنيد ماجاء فى الكتاب.. ونبدأ بحديثه عما كتبه هيكل عن موقف مصر تجاه حرب الخليج. ورد كشك على هذا الكلام.. فى مقال نشره تحت عنوان: «ما لن ينشر من كتاب هيكل نشر بجريدة الأخبار» يقول فيه:

ليست هذه مناقشة لكتاب هيكل الجديد، وإنما مجرد نقطة نظام أتقدم بها احتجاجا على الاسلوب الذى تم به النشر فى مصر. فقد حجب عن القارئ المصرى أهم ما يعنيه ويعنى المؤلف فى نفس الوقت، وأعنى رأى هيكل فى موقف حكومتنا من حرب الخليج، فلا يعقل أن يعرف الناس خارج مصر ذلك الموقف ويمنع المصريون وحدهم من تلاوته!! وهو على أية حال ليس كتاب الخليج هذا. أفضل كتب الاستاذ ولا من أفضلها، وقد اعتذرت صحف بريطانيا عن نشره بحجة انشغالها فى الانتخابات!!

ولابد أن للسـن اعتباره بالطبع، ولكنى إعتقد أن المهمة التى ألف الكتاب من أجلها كانت أصعب من مهاراته التى لا شك فيها. فقد استهدف إخراج

الملك حسين [1] البطل العربى الوحيد والأوحد فى أزمة الخليج، الرجل الذى خاطر بكل شئ ليمنع الحرب، ويمنع التدخل الأميريكى، وينصح صدام بالإنسحاب المرة تلو المرة، ويتفق مع الرئيس المصرى لتهدئة الجو فيغدر به رئيس مصر الذى حمله هيكل مسئولية كل ما جرى أو على الأقل مسئولية ضياع فرصة الحل العربى، استجابة لتوجيهات الاميركان.

هذا هو الخط العام للكتاب، وهى كما ترى مهمة صعبة للغاية وقد بذل غاية جهده، ولكن أغلب الظن خانه التوفيق، لأن حقائق التاريخ أقوى.

* * *

بالنسبة للملك حسين فقد شاركنا هيكل حينا من الدهر فى عداوته والتهجم عليه بالحق والباطل، ومازلنا لا نثق فى سياساته، أما هيكل فقد رأى من برهان ربه فى أزمة الخليج نشهد ان رئيسنا قد فعل كل ما فى وسعه ليمنع صدام حسين من تدمير العراق، إلى حد إبلاغه بنوايا بوش بعد الاجتماع الذى عقد معه فى القاهرة، فما زاد صدام عن أن قال له : إنه لايصدق ان عربيا يقف مع الاميركان وإسرائيل.. هذا فراق بينى وبينك! وان صدام كان قد اقتنع بضرورة الانسحاب وكان المطلوب صيغة تغطى الانسحاب وهذا ما تكفل به الشهم حسين بن طلال. (ولا نقول كان هيكل زمان بيقول ابن مين؟)

فاتفق مع مبارك على أن يذهب لبغداد وينتظر الرئيس مكالمة من الملك، فغير موقفه وأثنى على الرجل ونقل اتهاماته لحكومتنا ورئيسنا بدون تعليق بل كحقائق مسلم بها.

---

(١) أعلن الملك حسين فى خطاب علنى نقل إلى العالم كله أن صدام حسين ارتكب أخطاء وحماقات، وأن على الشعب العراقى أن يتخلص منه!! (الخطاب ٧ أكتوبر ١٩٩٢).

فالملك كان مع الرئيس بوش يحاول جهده أن يثنيه عن ضرب العراق وعندما جاءت مكاملة تليفونية من مبارك لبوش الذى بعد أن أنهى المكالمة قال لحسين: هذا واحد من زملائك يحثنى أن استخدم القوة بسرعة وإلا سينفجر الشارع العربى» (ص٢٥٢).

ولن ننقل كل ما تفتقت عنه قريحة الكاتب فى تبييض دور الملك حسين بل حتى ولى عهده الحسن.. فهذه قضيه أخرى لابد أن يكون لها أكثر من تفسير!

ونترك الأمر للتاريخ حيث وقف الملك حسين نفسه يتبرأ مما نسبه إليه هيكل وما حاول أن يضفيه عليه وكان خطاب الملك حسين العلنى بعد سبعة أشهر من كتاب هيكل أفضل رد.. وخير بيان لأوهام هيكل.

أما بالنسبة لحكومتنا فسجلنا فى مدحها منذ محمد على لا يصل إلى صفحة فى سفر ما كتبه.. ولكن قبل إتخاذ أى موقف.. ولكن الملك يفاجأ وهو فى عنفوان مساعيه الحميدة ببيان رسمى مصرى يدين الغزو العراقى، وانزعج الملك من خرق الاتفاق ولكن الرئيس «اعتذر بأنه كان تحت ضغط الصحفيين والرأى العام، ولم يقتنع الملك حسين لأن الصحفيين المصريين لم يعرف عنهم الضغط على رئيسهم (ص٢٠٩) وما ينبئك مثل خبير!.

* * *

ويتابع الاستاذ: «وقد ادهش توقيت البيان وزراء الخارجية العرب حيث أنه صدر قبيل اجتماعهم الذى تقرر بناء على طلب مصر، وبدأ البيان وكأنه نسف كل الجهود التى حاول مبارك أن يساعد بها مهمة الملك حسين فى بغداد».

«كان صدام مايزال مقتنعا بإمكانية عقد القمة المصغرة يوم ٥أغسطس ولم

يكن يدرى أن مبارك صرف النظر عنه منذ خلافه مع الملك حسين» .

أما ما تفسير هذه الطعنة فى ظهر الملك ومساعيه؟ وتفسير التحول فى موقف مصر. فيقول هيكل «ولكن بوش كان قد تلفن لمبارك ويبدو أن إصرار الزعيم الاميركى على إعلان العرب المعتدلين لموقفهم كان أكبر من أن يقاوم» (ص ٢١٠).

«إن السماح للبارجة إيزنهاور بعبور قناة السويس جعل العراق يرجع عن فكرة الانسحاب» (ص ٢٢٤).

* * *

ويردد الاستاذ حملة العراق والمؤيدين له على قرار الجامعة العربية الذى أدان الغزو العراقى وطالب بإرسال قوات عربية إلى الخليج فيحكى قصته هكذا : مشروع القرار وضع فى سرية تامة لكن بقية الملف استطاع أن يحصل على نسخه «وقرر على الفور (الملك حسين) أنه لم يكتب باللغة العربية، فلغته تبدو كأنها ترجمة سيئة عن لغة أجنبية وشاركه آخرون فى نفس الانطباع وانتشرت إشاعة أن الاصل كتب الانجليزية. وأسقط فى يد الملك حسين وجلس مسندا خده إلى يده وقال لقد شعرت على الفور أن هذا سيكون أكثر القمم مأسوية فى تاريخ أمة العرب» !! (ص ٢٢٩).

ويتابع الاستاذ: «أحس الكثير من الوفود ان المطلوب منهم هو أن يبصموا على القرار وهنا اعترف الوفد المصرى أنه قد تم عقد مؤتمر لوزراء الخارجية ولكن فى وقت متأخر من الليل ولم يضم إلا دول الخليج ومصر وسوريا ولبنان وأنهم صاغوا القرار واعتذر الوفد المصرى عن عدم دعوة بقية الوفود بقوله لم نحب ازعاجكم» .

* * *

ويستمر الامين على تاريخ الهلال الخصيب فى فضح دور مصر، فبعد أن حصلنا على التعليمات من أميركا وترجمت ترجمة حاول الرئيس عرفات إنقاذ الموقف فتقدم بإرسال وفد إلى صدام يطالبه بالإنسحاب «وعرف بعد ذلك أن هذا الاقتراح كان بموافقة بغداد ولكن في هذه اللحظة قدم سعود الفيصل ورقة للملك فهد فقرأها وفوتها للرئيس مبارك وانقلب الجو تماما كانت فكرة إرسال وفد لبغداد بدأت تحظى بالقبول من الوفود ولكن الرئيس مبارك بدأ يظهر نفاذ صبره من هذا الاقتراح».

«وفاجأ مبارك الجميع بطرح القرار للتصويت واحتج على الفور رؤساء آخرون وطالبوا استمرار النقاش ولكن مبارك أصر على التصويت من مع القرار ومن ضده وجلس القذافى مذهولا من حركة مبارك، واحتج عدد من الوفود بأن القرار يجب أن يصدر بالإجماع ولكن الوفد المصرى لم يقبل ذلك، ولم يحدث قط إن اتخذت الجامعة قرارا بالأغلبية فى أمر مهم مثل هذا. لم يستغرق الأمر أكثر من ساعتين لخلق أعمق إنقسام فى تاريخ العرب وسقطت آخر فرصة لحل عربى» (ص ٢٣٤).

ومن النقاط القوية التي أثارها كشك في رده النقدى على كتاب هيكل.. التناقض الواضح بين ما جاء في كل من النسختين الانجليزية والعربية. وللأمانة فقد خصص كشك للرد على هذا التناقض مقالين نشرهما متتاليين فى جريدة الأخبار القاهرية [١] بعنوان «التاريخ البلاستيك عن هيكل» يقول فى المقال الأول: سنقدم بعض النماذج على التباين والتزوير على سبيل المثال لا الحصر.. وسوف نرمز للطبعة العربية (بالمصرية) والانجليزية

---

(١) جريدة الأخبار ــ العدد الصادر ــ يومى ٢٨، ٢٩ إبريل عام ١٩٩٢.

الهاشمية بإعتبارها موجهة للملك حسين. ويضيف كشك قائلا عن لسان هيكل.

كلام بالعربى وآخر بالانجليزى ؟!!

يقول: «كان الرئيس مبارك يتصرف فى الأزمة بحسابات عملية وواقعية.. كان حسابه فى النهاية أنه إذا جاءت الحرب فإنه لأكثر من سبب لا ينبغى أن يجد نفسه فى معسكر المهزومين فهو بذلك يتحمل تبعات لا دخل له فيها وإذا كانت مسئولياته تطالبه بعمل لتفادى وقوع كارثة فهو على استعداد للقيام به لكن هناك حدا لا ينبغى تجاوزه.. وقد اعطت هذه السياسة لمصر فرصة أداء ظاهر على ساحة الأزمة فى مراحلها الأولى وبعد نهاية الأزمة فإن مصر أكدت مطالبتها بإسقاط ديونها العسكرية..» ص ٤١ المصرية.

يسلم بقك «يا هيكل» ـ عمر الضفر ما يطلع من اللحم! خير مصر الذى فزت منه بحصة قطيع ذئاب بأكمله (تمر فيك).

ها هو رئيس مصر يتصرف بحسابات عملية وواقعية، وهو لايريد أن يكون فى معسكر المهزومين لأنه لايجوز أن يتحمل أخطاء الآخرين. وهو مستعد لأى عمل يمنع الأزمة. ومصر هى التى أكدت مطالبتها بإسقاط الديون وذلك بعد نهاية الأزمة أو على الأقل كحق من حقوقها.. إلخ.

لكن يا خسارة العرض مختلف تماما فى الطبعة الانجليزية فالرئيس ذو الحسابات الواقعية والعملية فى تصرفاته تجده هناك لا يتمتع بهذه الصفات بل يدعيها.. أى والله يقول هيكل: «الرئيس مبارك بتاع مصر (of Egypt) يحب دائما أن يصف نفسه كواقعى. وقد ترك هذه الرغبة توجهه خلال أزمة الخليج..

«وقرار الرئيس بوش إعفاء مصر من ديونها ساعد مبارك على إقناع جماهيره أن تورط مصر له ما يقابله» ص ٢٢ من الطبعة الإنجليزية.

وهكذا تحولت الديون إلى رشوة اشترت بها الحكومة تأييد الشعب كما حذفت الفقرة الخاصة بالجهود لتفادى الازمة لأنها تتناقض طبعا مع محاولته إثبات أن مصر هى سبب الأزمة وهى التى أفسدت جهود الملك حسين.

* * *

وجاء فى النسخة المصرية العربية:

فى الأيام القليلة السابقة على الغزو «كانت هناك اختلافات فى الرؤى والتصورات بين ست عواصم.. وربما كان الرئيس مبارك واحدا من الذين يرون أن للعراق فى موضوع الحدود وجهة نظر لابد من سماعها، ونفس الشئ عن بترول الرميلة، كما أنه كان يرى أن انخفاض أسعار البترول يؤثر على مصر لكن الرئيس المصرى كان يختلف مع أسلوب الرئيس العراقى، ولعله أيضا لم يكن يشعر بالراحة مع شخصية صدام حسين.. وطموحاته لدور يراه الرئيس مبارك على حساب مصر ٣٣٤.

كل هذا اختصره فى الطبعة الهاشمية الإنجليزية بجملة واحدة: «واستمر الرئيس مبارك يعتقد أو يفكر أن صدام يحاول فقط تهويش الكويت» . ووصف ذلك بأنه تقدير خاطئ من القاهرة فى تحليلها للأزمة قبل إنفجارها. (ص ١٨٣).

فى الطبعة المصرية العربية كان الرئيس مبارك فور وقوع الأزمة يقرأ تقدير موقف أعده مستشاروه والاجهزة «وكان التقرير بعيد النظر إلى حد كبير، ومنطقيا ومعقولا» ص ٣٧٥ وهى شهادة نعتز بها رغم صدورها ممن وضع تقدير

موقف لحرب ٥٦.. و ٦٧.. ومع ذلك ماذا قال فى الطبعة الانجليزية؟

بالطبع مدح التقرير ولكنه أضاف الآتى بالحرف: «ولكن لم تنفذ إلا أجزاء من هذا التقرير» ص ٣٠٢. واضح المقصود: المستشارون لم يقصروا.. إنما اقترحاتهم لم تنفذ..؟!

* * *

فى طبعة الخارج يشنع هيكل على الصحافة والصحفيين المصريين ويتهمهم بالضعف فى حديثهم مع الرئيس. وهو الذى تربع على عرش الصحافة المصرية ١٧ عاما، ومع ذلك لم يجرؤ على طلب إجراء حديث مع عبد الناصر منذ أن انفرد الأخير بالسلطة.

وهو الرئيس الذى كان يتحدث لأى صحفى لبنانى ولو كان يعمل فى جريدة عكاظ الجنة (اسم صحيفة لبنانية كان مندوبها يعيش فى مصر على نفقة الدولة).

هيكل يشكك فى رواية الرئيس مبارك عن ضغط الصحفيين المصريين فيقول: «وكدليل آخر على أن البيان المصرى نشر قبل أن يتلفن الملك حسين للرئيس يقول الملك ان الرئيس أعتذر بأنه كان تحت ضغط فسأل الملك: ضغط ممن؟ فقال الرئيس من الصحفيين المصريين.

وقد أحس الملك أن هذا التفسير غير مقنع لأن الصحفيين المصريين لم يعرف عنهم الضغط فى سؤالهم لرئيسهم.. كان مبارك مازال مأخوذا Ovr-whelmed بتطورات الازمة وقال: أنا عقلى مقفول. فقال الملك حسين: إذن عندما تصل لقرار اتصل بى.

ويكمل هيكل لقد تقابل الزعيمان واحداً وخمسين مرة ولكن مع أول أزمة تبين أنهما لا يفهمان بعضهما. ص ٢٠٩ انجليزى.

* * *

وجاء فى النص العربى، ومن باب التجمل حذفت الفقرة الخاصة بليونة الصحفيين المصريين فى مواجهة رئيسهم! لأن الهدف هو التشهير بالصحفيين فى الخارج وليس الداخل!

وفى الطبعة العربية ورد تحريفان إذ يبدو أن عداد هيكل مثل عداد التاكسى يعمل فى الانتظار، ففى الفترة بين الطبعتين زادت مقابلات الزعيمين فأصبحت اثنتين وخمسين مرة.. «مش مهم العدد فى الليمون».

التحريف الثانى أن هذا التعليق حول مقابلاتهما وخلافهما نال ترقية فى طبعة العرب فأصبح تعليقا من هيكل قاله للملك مباشرة! إذ ورد هكذا: قلت للملك من الغريب أن أنت والرئيس مبارك تقابلتما أثنتين وخمسين مرة.. وعند أول أزمة بينكما.. إلخ» ص٣٩٤.

وفى الصفحتين ٤١٥، ٤١٦ مصرية نجد عرضا ممتازا لخطاب الرئيس يوم ٨ أغسطس «كان خطابا دراميا ومؤثرا».

ولم يكتف بذلك بل يتصدى للشائعات: «ولقد راجت فيما بعد مقولة بأن الرئيس مبارك بالغ فى كآبة الصورة قبل الأوان»..

يفند هيكل هذه الأقاويل «ولم تكن هذه المقولة تشخيصا دقيقا للمناخ الذى تحدث فيه الرئيس مبارك، والواضح أن اللهجة التى تحدث بها فى ذلك الوقت كانت لهجة رجل اتاحت له ظروفه أن يطل بنظرة على الخطة (١٠٠٢ ـ ٩٠) ولقد هاله ما رأى مع علمه بسبق الاصرار عليه وقد جرت الكلمات على

لسانه ولأن خطابه كان مرتجلا فإن السر تسرب إلى اللفظ ولم يكن فى حل من أن يفشى السر.. ذلك أن الأمل ظل يراوده بأن المعجزة ممكنة إذا خرج العراق من الكويت».

وهى فقرة مقتبسة من كتاب «الجنازة حارة».. ولا اعتراض لنا فهى صادقة تماما فى وصف موقف الرئيس ولكن المؤلف فى الطبعة الهاشمية «الانجليزية» قام بالتنقيح الآتى:

حذفت كلمة «مؤثر» من وصف خطاب الرئيس فقال: «فى خطاب دراماتيكى» فقط وحذف الرد على الاقاويل، وحذف أن الرئيس من عاطفته وحرصه على العراق أوشك أن يفشى السر الاميركى، وحذف انه تمنى منع ما يدبره الاميركان، وانه ظل يراوده الامل فى إمكانية المعجزة إذا خرج العراق.. إلخ ص١٢٢ انجليزية.

* * *

فى الطبعة المصرية أورد هيكل اجتماع القمة واستخدم كل براعته فى الرد على الاتهامات الموجهة له من الاعلام العراقى ومؤيديه. فمثلا فى حكاية ان القرار قد وضع بالانجليزية والدليل انه يطالب بالعودة لوضع أول اغسطس وهذا توقيت واشنطن بينما الغزو وقع فى ٢ أغسطس حسب توقيت العروبة.

وهذه الحكاية لم ترد فى النص الانجليزى فالقارئ الخواجه لا يتقبل هذه الألاعيب ولكن هيكل يوردها فى النسخة المصرية للتشكيك ثم يتطوع بتفنيدها. «إن الرد على ذلك من وجهة النظر الأخرى أن ذلك تعسف ليس له ما يبرره لأن قوات الغزو العراقى تحركت فى الواقع فى الساعة الحادية عشرة قبل منتصف ليلة ٢ أغسطس» ص ١٤٢٩

وبالنسبة للاعتراض على المادة ٤ التى تتحدث عن تأييد الكويت «وكان الرد أن حق أية دولة فى رد العدوان.. إلخ» وبالنسبة للاعتراض على استنكار الحشود العراقية على السعودية كان الرد «ان احدا لم يعد له الحق فى تصديق العراق..» !

حتى استدعاء الاميركان وجد له هيكل فى النص العربى ما يبرره «أن السعودية لا تستطيع الانتظار إلى أن يقع المحظور ومن واجب العالم العربى أن يشعرها بالأمان..» إلخ ص ٤٣٠.

منتهى الامانة فى عرض وجهات النظر، بل ويعرض خطاب الرئيس مبارك كاملا ويجرى له إخراجا، يذكرنا بما مضى، من إبراز عناصره فى حروف سوداء تسبقها كورة، ثم لايكتفى بذلك بل يعلق «وكان مؤدى خطاب الرئيس مبارك أن الوقت لم يفت وأن الفرصة ماتزال مفتوحة، ص ٤٣١ عربى.

* * *

هيكل يكذب هيكل

سيقول البعض إننا كنا أحوج لمهارته فى عرض موقف مصر فى الخارج وليس فى مصر، ولكن حدث العكس فى الطبعة الانجليزية، فقد اكتفى بإشارة لخطاب الرئيس فى أربعة سطور وبالبنط العادى، وبلا تعليق ثم جرى دس قنابل إساءات.. من طراز «كان مشروع القرار مايزال مطروحا على المائدة ولكن الكثير من الوفود أحست أن المطلوب منها هو أن تبصم عليه». ثم شرح للقارئ الانجليزى معنى البصمة التى كتبها بالعربية بحروف لاتينية!!

الكـذب على التـاريـخ

واعترف الوفد المصرى بإعداد المشروع خفية بين دول الخليج ومصر وسوريا ولبنان.. ص ٣٣

وفى الطبعة الإنجليزية عن اقتراح عرفات بإرسال وفداً لصدام «وبدأ الاقتراح يكسب تأييداً ولكن الرئيس مبارك أخذ يبدى نفاد صبره من الفكرة» ص ٢٣٢ .

ولكن هيـكـل يكذب هيكل!! ففى الطبعـة «العـربى» يقـول: «ولكن هذا الاقتـراح لم يلق حـمـاسـة تذكر أثناء المشاورات التى سبقت الجلسـة الرسميـة» ص ٤٣٥ .

«هناك عنـد الاجـانب كـان اقتـراح عرفـات يكسب التأييـد لولا موقف ونفـاد صبـر مبـارك» .

وهنا للمصريين سقط الاقتراح من قبل الوفود فلم يلق حماسة تذكر، بل يزيد بأن الرئيس مبارك تبنى الاقتراح فعليا إذ راح يعرض على الرؤساء من يتولى الذهاب!! لا يوجد امتهان أكبر من ذلك لشرف الكلمة وثقة القارئ.

وفى الطبعـة الإنجليزيـة يقول: ـ انسحب الوفد العراقى بإحساس أن مبارك قد نصب لهم فخا ص٤٣٦ .

وفى الطبعة العربية بنيت للمجهول: «اُعتبر الوفد أنه وقع فى فخ قد نصب له» ص٤٣٦ . «وقد خطر ببال البعض فى العالم العربى أن المؤتمر كان جزءا من خطة لفتح الطريق أمام عمل تقوم به الولايات المتحدة» ص ٤٣٧ مصرية.

ولايقبل هيـكـل هذا بل يصفه «مثل هذا القول يحمل إسرافا كبيرا فى سوء الظن» والمؤمن حسن الظن، ولكن المؤمن هيكل فى الطبعة الانجليزية أورد

المؤتمر وقرارته تحت عنوان البحث عن غطاء للقوات الاميركية وأن الموقف المصرى صدر بناء على طلب من بوش لمبارك!

* * *

فى الطبعة العربية حذفت العبارة الدرامية التى وردت فى النص الانجليزى تعليقا على المؤتمر وقراراته والتى تقول: «وهكذا فى أقل من ساعتين صنع أعمق انقسام عرفه العالم العربى وضاع آخر أمل فى حل عربى» ص ٢٣٤ انجليزى.

فى الطبعة الإنجليزية ورد أن «الملك حسين شخصيا حصل على نسخة من مشروع القرار وأيقن جلالته أن هذا النص لايمكن أن يكون قد حرر فى الاصل بالعربية» ص ٢٢٨.

وفى الطبعة العربية كان الذى اكتشف ذلك هو «أحد كبار مستشارى الملك حسين» ص ٤٢٩.

فى الطبعة الانجليزية طارق عزيز قال إن بعض الدول العربية نسيت تاريخها وتتعاون الآن مع الاستعمار، وهو نقد، يقول هيكل «ينطبق على نصف الدول العربية ولكنه آثار ضجة لا يستحقها فى صحافة مصر».

ثم حكاية اعتذار عزيز وحضوره لمصر بثياب السجن ص ١٧٧ انجليزى.

فى الطبعة العربى مختلف تماما فبدلا من التنكر للتاريخ الوطنى اتهمنا بالخيانة من أيام مصطفى النحاس والذى اتهم هو ياسر عرفات وليس عزيزا!

ودافع هيكل عن النحاس ووصف الرواية بأنها مشوشة بسبب الجو المشوش، الذى يبدو أنه لايزال مشوشا فحكاية هيكل ملخبطة

خالص ص ٣٢٣ عرفات هو الذى اتهم النحاس وفى ص٣٢٤ يتصل صدام بمبارك ليعتذر عما قاله طارق «فى حديثه عن النحاس» وحضر طارق للرئاسة يحمل شريطا... إلخ، مين اللى قال ومين اللى اعتذر وقال عن النحاس ولا عن الاستعمار والتاريخ؟ ربنا يكفينا شر التشويش لحسن دى كانت كلمة وحشة خالص قبل خمسين سنة والعياذ بالله! ليس تشويشا بل لأن الكذب حباله قصيرة وخاصة الكذب على التاريخ.

* * *

وفى مقال آخر نشر بنفس الجريدة على حلقات.. يواصل كشك توجيه انتقاداته الحادة لكتاب هيكل فيما يتعلق بإغفال بعض الحقائق والوقائع واختلافهما فى الطبعتين العربية والانجليزية.. وبحساب الأيام نجد أن فارق التوقيت بين النشر فى كل من الحالتين يقترب من الشهر.. مع ان الجريدة واحدة.. وربما يكون الموضوع واحد.. وكله هذه المرة يتناول التناقض الذى أثاره هيكل فيما يتعلق بموقف الوفد المصرى فى مؤتمر القمة الذى عقد من أجل بحث الغزو العراقى للكويت. وعن ذلك يقول كشك فى هذا المقال الذى نشر على ثلاث حلقات والذى نقتطف منه هذه الفقرات:

فى الطبعة الانجليزية بعد ان استعرض موقف الوفد المصرى فى مؤتمر القمة قال متحسرا: «وهكذا فى أقل من ساعتين صنع أعمق انقسام عرفه العالم العربى وضاع آخر أمل فى حل عربى» ص ٢٣٤ (وهذا التعليق حذف فى الطبعة العربية).

وكانت وجهة نظرنا أن الدعوة للحل العربى غير الممكن لم تكن تهدف إلا لإضاعة الوقت حتى تكمل اميركا استعدادها وتعصف بالعراق والمنطقة. وبعد

عامين يأتي هيكـل فيعلن اعترافا خطيرا: «أخطأت طوال الوقت الذى كنت أقول فيه: إن هناك حلا عربيا» المصور ٩٢/٥/٨.

كيف تقبل إذن أن يبقى كتابك فى السوق يحمل هذا الاتهام بإفشال أو إضاعة آخر أمل فى الحل العربى وتسمح بترجمته (لليابانية والكورية والسنسكريتية)، بعد أن اكتشفت أنك كنت مخطئا طول الوقت؟!.

* * *

١ـ فى الطبعة العربية كان الرئيس مبارك يتصرف فى الأزمة بحسابات عملية وواقعية.

فى الطبعة الانجليزية: «الرئيس مبارك بتاع مصر (of Egypt) يحب دائما أن يصف نفسه كواقعى. وقد ترك هذه الرغبة توجهه خلال أزمة الخليج..».

هل هذا خلاف فى الترجمة؟ هل يوجد كمبيوتر يحول المسئول الذى يتصرف بواقعية وحسابات عملية إذا ترجم للانجليزية إلى أنه يحب أن يصف نفسه بذلك..؟!.

ترك سيادته والمتلقى هذا التزوير، فلم ينبسا بحرف فى تفبيسيره، وهو يتشبث بترجمة الرئيس مبارك (of Egypt) وراح يردد: «ودى فيها حاجة دى» وزعم أنهم يقولون «كوين اليزابيث أوف بريتين» !! وهوغير صحيح فهم إما أن يقولوا ملكة بريطانيا أو الملكة اليزابيث.. وإنما of هذه يقصد بها التعريف للتجهيل. والدليل أنك ذكرت عبد الناصر فى الكتاب ١٣ مرة لم تجد نفسك بحاجة إلى أن تقول (of Egypt) أو «بتاع مصر» ولا «أوف بنى مصر» !!. هل كان عبد الناصر فى حرب الخليج أشهر من مبارك ؟!.

وفى صفحة ٩١ تتحدث عن ثلاثة صدام وحسينك ومباركنا فتقول الآتى: «عندما فاتح الملك حسين صدام حسين.. ثم لما فاتح الرجلان مبارك «أوف إيچيبت بتاع مصر»!! هل رئيسنا فقط هو الذى يحتاج «الفيش وتشبيه!!!؟».

* * *

٢ـ فى الطبعة العربية يصف تقدير الموقف الذى أعده المستشارون للرئيس بأنه «وكان التقرير بعيد النظر إلى حد كبير، ومنطقيا ومعقولا» ص ٣٧٥.

ورغم أن الطبعة الانجليزية أقل مائة ألف كلمة عن العربية فقد اتسعت لإضافة عبارة تقول: «ولكن لم ينفذ إلا أجزاء من هذا التقرير» ص ٢٠٢.

لماذا جاءت حرية التصرف بما يسىء فى لندن ولا يغضب فى القاهرة؟.. لا سألوه ولا هو رد!!.

٣ـ ولكن إذا كانت الاضافة هنا للاساءة فهناك أيضا الاختصار.

فى الطبعة العربية كان خطاب الرئيس «خطابا دراميا ومؤثرا» ٤١٦ وفى الطبعة الانجليزية حذف «مؤثرا» لأنه أريد بها التأثير فى مصر فقط ص ٢٢١.. ومرة أخرى لا رد!!.

٤ـ فى الطبعة الإنجليزية عن اقتراح عرفات بإرسال وفد لصدام «وبدأ هذا الاقتراح يكسب تأييدا، ولكن الرئيس مبارك أخذ يبدى نفاد صبره من الفكرة» ص ٢٣٢.

فى الطبعة العربية يقول: «ولكن هذا الاقتراح لم يلق حماسة تذكر أثناء المشاورات التى سبقت الجلسة الرسمية» ص ٤٣٥.

* * *

هناك عند الاجانـب كان اقترح عرفـات يكسب تأييداً لولا موقـف ونفـاد صبـر مبارك.

وهنا للمصريين سقط الاقتراح من قبل الوفود فلم يلق حماسة تذكر.. بل يزيد بأن الرئيس مبارك تبنى الاقتراح فعليا إذ راح يعرض على الرؤساء من يتولى الذهاب!!. لقد علقنا على ذلك بقولنا: «لايوجد امتهان أكبر من ذلك لشرف الكلمة وثقة القارئ».

وقد أخطأنا فالامتهان الأبشع أن محاوره لا سأله فى هذه الفضيحة والتزوير فى الوقائع ، ولاصاحب عصا موسى وجد أنه مطالب بالرد على هذا، ومضيا يتحاوران دون أن يطرف لأحدهما ضمير!.

هل هذا من فعل الترجمة وخصائص اللغات؟!.

٥ـ فى الطبعة الإنجليزية انسحـب الوفد العراقى باحساس ان مبـارك قد نصب لهم فخا.. ص٤٣٦ .

وفى الطبعـة العربيـة بنيت للمجهول: «اُعتبـر الوفـد أنـه وقـع فى فـخ قد نصب له» .

* * *

٦ـ ونفس التزوير أو التجهيل فعله فى نقطة أخطر ففى الانجليزية قال إن حامى العروبة حبيبه الجديد الملك حسين كان مع الرئيس بوش يحاول جهده أن يثنيه عن ضرب العراق «عندما جاءت مكالمة تليفونية من مبارك لبوش الذى بعد أن أنهى المكالمة قال لحسين، هذا واحد من زملائك يحثنى أن استخدم القوة بسرعة وإلا سينفجر الشارع العربى» ص ٢٥٢ .

ماذا حدث لهذا النص فى الطبعة العربية؟.

ورد كالآتى: «وقد روى الملك حسين فيما بعد أن الرئيس بوش تلقى أثناء لقائه معه مكالمة تليفونية وان الرئيس الأميركى قال له بعد انتهاء المكالمة : «هذا أحد زملائك يحثنى على سرعة العمل بالقوة قبل أن تؤثر الدعاية العربية على الشارع العربى» ص٤٥٧ .

نترك لغيرنا ملاحظة التعديلات فى الصياغة (تحول الانفجار فى لندن إلى دعاية فى مصر ربما استجابة لقانون الطوارئ!!.

ونتوقف عند أهم نقطة وهى أن اسم الرئيس لم يرد فى العربى، مع ان الانجليز واليابانيين يعرفون هذا لو كان حقيقة، والمصريون أحق بالمعرفة، خاصة أن طبعتهم موسعة ولكنها ضاقت عن أهم من فى القصة: من هو زميل الملك حسين الذى حث بوش على الضرب؟ أيكون مضر بدران؟.. أيكون اسحاق شامير؟ ما هم كلهم زملاء يا هيكل!.

* * *

ويواصل مناوراته فى حديث مطول ويقول: أنا غير مطالب أن أضع فى الطبعة العربية ما قلته تحية للعزيز بهاء!.

أيها المناور .. وهل عاتبك أحد على عدم ذكر اسم احمد بهاء الدين فى الطبعة العربية.

أم على حذف اسم الرئيس مبارك مرتين.. ولماذا؟ أخوفا من الرقابة أن تصادر الكتاب؟.

ذلك عهد قد غبر.. لا أعاده الله!! خوفا من الحبس والتحويل لمؤسسة «باتا» كما فعلتم بكتاب مصر؟.

الحمد لله انت تعرف جيدا ان مبارك لا يسجن كاتبا ولا يأبه بما تكتب،

ولكنك تعلم أنك لو نشرت ذلك فى مصر لأحرقك الناس فوق كتابك ولذلك زورت وحرفت، وتزعم أننا نريد الوقيعة بينك وبين الرئيس!..

من أنت أصلحك الله؟! حتى يوقع بينك وبين الرؤساء ولماذا وبأى هدف؟. ما الذى عندك نطمع فيه.. ما المنصب أو المكانة التى تشغلها ونرجو أن يخلعك منها الرئيس؟.

٧ـ فى الإنجليزية مبارك يستعجل الضرب قبل ان ينفجر الشارع المعارض «وقرار الرئيس بوش إعفاء مصر من ديونها ساعد مبارك على إقناع جماهيره ان تورط مصر له ما يقابله» ص ٢٢.

بينما فى الطبعة العربية تجده يضيف هامشا يقول فيه «كان الرأى العام فى مصر هائجا بالفعل، وكان هناك إلحاح بضرورة أن تظهر مصر موقفها باستنكار غزو الكويت بطريقة واضحة» ص ٣٩٤ وقد خففت لأقصى حد فى الطبعة الإنجليزية «الرأى العام المصرى، على أية حال كان ضد الغزو بوضوح» ص ٢٠٩ الهيجان فى طبعة مصر علشان الحر!!.

٨ـ ثم حكاية سب الصحفيين المصريين فيقول «وكدليل آخر على ان البيان المصرى نشر قبل أن يتلفن الملك حسين للرئيس مبارك، يقول الملك إن الرئيس اعتذر بأنه كان تحت ضغط فسأل الملك: ضغط من من؟ فقال الرئيس: من الصحفيين المصريين. وقد أحس الملك أن هذا التفسير غير مقنع لأن الصحفيين المصريين لم يعرف عنهم الضغط فى سؤالهم لرئيسهم.. إلخ ص ٢٠٩ انجليزى.

فى الطبعة العربية حذفت الفقرة الخاصة بليونة الصحفيين المصريين فى مواجهة رئيسهم! ألم تكن هذه تستحق سؤالا أو تفسيرا؟!.

* * *

٩ـ فى الطبعة الإنجليزية ورد أن الملك حسين شخصيا حصل على نسخة من مشروع القرار وايقن جلالته أن هذا النص لا يمكن أن يكون قد حرر فى الاصل بالعربية» ص ٢٢٨ .

وفى الطبعة العربية كان الذى اكتشف ذلك هو «احد كبار مستشارى الملك حسين ص ٤٢٩ .

وقد سمعنا عن اجهزة نسخ تصغر الصورة لكن لم نسمع عن جهاز ترجمة يصغر الملك حسين ويجعله مستشارا.

هل هذا من نتائج ثورة الاتصالات والمواصلات؟ أو هل من خصائص اللغات أن يكون ملكا «بالإنجليزى» ومستشارا باللغة العربية؟ ومرة أخرى لا سألوه ولا هو ردا!.

١٠ـ فى الطبعة العربية يرفض ويفند الزعم بأن مؤتمر القمة كان جزءا من خطة لفتح الطريق أمام الولايات المتحدة» ص ٤٣٧ .

* * *

كتب هيكل فى الطبعة الإنجليزية يعرض ويشهر بقرار السماح بالعبور فقال: «فى طريق عودته إلى واشنطن وقف تشينى (وزير الدفاع الاميريكى ج) فى الاسكندرية وعقد اجتماعا يوم ٧ أغسطس مع الرئيس مبارك وخلال مباحثاتهما وافق الرئيس المصرى على السماح لحاملة الطائرات الاميركية ايزنهاور بالمرور عبر قناة السويس. وكان ذلك تخليا عن سياسة مصر بمنع المراكب التى تحمل أسلحة نووية أو مزودة بطاقة نووية من قناة السويس حتى ذلك الوقت كانت واشنطن وفى وقت متأخر من نفس اليوم وخلال مكالمة مع بوش وافق الرئيس مبارك على إرسال قوات للسعودية» .

ويقول هيكل: «وسقط قلب الملك حسين (Hussin, Heart Sankhing) عندما سمع بقرارات الملك فهد (قبول القوات ج) والرئيس مبارك (مرور السفينة وإرسال قوات ج) والملك الحسن (إرسال قوات مغربية ج). شعر ان هناك اندفاعا لخلق ظروف تعطى الشرعية للتدخل الأميركى ص ٢١٩.

* * *

الصحف الإنجليزية

تسخر من كتاب الاستاذ هيكل !!

وهذه مناسبة لنقدم دليلا جديدا على تزويده للطبعة العربية فهذه الرواية عدلت فى اللغة العربية فلم ترد بها طبعا حكاية التخلى عن السياسة المصرية الثابتة إلخ بل جاء ان السفير الاميركى طلب من وزير الدفاع تشينى التوسط عند الرئيس لكى تمر وقال السفير الاميركى «انه يعرف ان هذه مسألة حساسة عند المصريين لأنهم يمانعون عادة فى مرور سفن نووية.. وأصدر الرئيس مبارك أمره بالموافقة».

وقد استخدم هيكل كل خفة اليد والبراعة فى تخفيف قرار العبور فجاء بتحفة خالدة فى أدب الانشاء فى مخاطبة الملك والرؤساء ففى نسخة الملك حسين (الطبعة الإنجليزية) كان ذلك تخليا عن سياسة مصر بمنع Banning وحتى ذلك الوقت كانت هذه السياسة تفرض بحزم Firmly Enforced فاذا بها تتحول: «المصريون يمانعون عادة».. عادة هذه تساوى نصف مرتب الملك حسين من المخابرات الاميركية لأنها لا تجعلها سياسة ثابتة التزموا بها بحزم ومن ثم فهذه الموافقة تشكل خروجا عنها.

هيكل يعرض أخطر مواهبة ولكن لا أحد يريد استخدامها وقضية الموافقة فى نفس اليوم وخلال مكالمة تليفونية من بوش جرى تنقيحها فأضيف إليها بالعربية أن الرئيس رفض ذلك عندما طلبه تشيني وإنما وافق الرئيس مبارك على ذلك عندما اتصل به كل من الرئيس چورچ بوش والملك فهد» ص٤١٣ أى ليس أمرا من بوش الامريكانى بل وبطلب من أخ عزيز وملك عربى ومعاهدة أمن مشترك إلخ إلخ أعوذ بالله من المتقولين بالانجليزى.. ولم يرد فى العربية هل سقط قلب الملك حسين أو طار.

ونختتم حديث كشك وانتقاداته الحادة والموضوعية لكتاب هيكل برأى العمامة العالية فى هذا الكتاب. أيضا من خلال إطلالة سريعة لما كتبه كشك.. ضمن سلسلة مقالاته ردا على مزاعم هيكل.. فكتب يقول: كتبت «الصنداى تايمز» تعليقا سخرت فيه من الكتاب وتمنت أن يكون هيكل قد بدأ يتعلم.. والكلمة بعنوان: «أحلام اليقظة» بقلم المعلق السياسى «داڤيد برايس جونز».

سامحنا إننا نقرأ رغم إننا لا نمتلك عمودا، وربما لأننا كتبة سريحة باليومية نضطر للقراءة قبل أن نكتب لكى يقرأنا الناس.. نحن لا ننتظر حتى تأتى الكتب على الجمال ولا نكتب عن كتاب ثم نجهل ما تكتبه عنه الصحف أو نعلم ونخفيه».

نعود لكتاب «الصنداى تايمز» الذى بدأ تعليقه الساخر على كتاب هيكل بالإشارة المعروفة عن «البوربون» الذين لم ينسوا ولم يتعلموا وقال: «هيكل كبوربونى عربى لم ينس ولكنه بدأ فى هذا الكتاب خطوة نحو التعلم.. هى خطوة متعثرة ولكنها أفضل من بلاش».

«وفى عرضه للمناورات الدبلوماسية للحملة يقدم هيكل «اسكتشات شائقة بل ومسلية عن زعماء العالم وهم يهرعون للتليفون يبثون لبعضهم البعض مخاوفهم وحساباتهم، وهو لا يقدم أى مصدر لهذه المحادثات الخاصة التى لا يمكن التحقق من مصداقيته عنها، ولكن لا ضير فالأمر لا يخرج عن هذا الذى تخيله!! إنه اتهام صريح بالفبركة ! وينهى تعليقه بأن هيكل الذى كان بوقا لعبد الناصر بإعلانه ـ فى هذا الكتاب ـ ان الديمقراطية هى الحل يكون قد خطا الخطوة الأولى فى التعلم بصرف النظر عن كتابه». (صنداى تايمز ٩٢/٥/٢٤).

* * *

الفصل الثالث

أوهام هيكل

وحقائق حرب الخليج

- قضية خاسرة لمحام بارع
- السعودية كانت فاعلا أصيلاً ومحركا للأحداث

ولم يعد أمامنا خلال جولتنا عبر هذا الكتاب.. بعد استعراضنا لأهم مافيه.. وفتح باب الحوار والنقد.. إلا الإستماع جيدا لما كتبه الدكتور عبدالعظيم رمضان الذى ـ وكما سبق وإن ذكرنا ـ قد خصص للرد على كتاب هيكل العديد من المقالات بلغت أكثر من ثلاثين مقالة طويلة نشرها بمجلة أكتوبر.. وجريدة الأهرام القاهرية.. ولسوف يكون لنا معه العديد من الوقفات نستطلع من خلالها رأيه النقدى الذى كتبه..

وأعتقد أننا أو أنتم أصبحتم لستم فى حاجة إلى أن أذكركم بمنهج الدكتور عبد العظيم رمضان فى تناوله لنقد كتاب هيكل فقد اشتملت كل المقالات على الرد صفحة صفحة من الكتاب.. بالوقائع والأحداث. ولسوف نختار بعضها.. كى نناقشه ولنفسح له المجال عبر صفحات كتابنا هذا.

والآن.. نحن على موعد بعد كتابة هذه العبارة . مع كلمات المؤرخ الدكتور عبدالعظيم رمضان.. ورده على كل ما جاء فى كتاب «أوهام القوة والنصر» لمحمد حسنين هيكل.

يقول الدكتور رمضان إن محمد حسنين هيكل كاتب مصرى بارز له وزن

عربى وعالمى كبير استحقه عند جدارة، ليس فقط لأنه كان رئيسا لتحرير الأهرام، فكثير من رؤساء التحرير دفنهم التاريخ دون أن يحس أحد بهم، وإنما لدوره فى التعبير عن فكر الرئيس الراحل عبد الناصر من جهة، ولثقافته العالية المتعددة الجوانب من جهة ثانية، ولأنه كاتب ومفكر متميز ترك بصمته فى الحياة الفكرية والسياسية من جهة ثالثة.

ومن هنا حين يكتب هيكل كتابا عن «حرب الخليج، أوهام القوة والنصر»، يتوقع المرء أن يجد فيه رؤية منصفة للحقيقة أولا، ولمصر ثانيا، وله ثالثاً.

أما الحقيقة، فلأنها الهدف الوحيد المشروع لأى باحث، ولأنها العنصر الوحيد تقريبا الذى يعطى لأى عمل علمى قيمته. وبقدر ما يقترب أو يبتعد العمل العلمى عن الحقيقة بقدر ما تعلو أو تنخفض قيمته.

وأما مصر، فلأنها النافذة الوحيدة ـ فى نظرى ـ التى يجب أن يطل منها المفكر المصرى على الأحداث والسياسة، وهذا ما نسميه فى علم التاريخ بـــ «المنظور التاريخى». فالحقيقة متعددة الجوانب مثل زهر الطاولة، وليس مطلوبا من أى باحث أن يقدم كافة الجوانب، لسبب بسيط هو أنه مقيد بنافذته التى ينظر منها إلى الحدث، وهذه النافذة تعطيه جانبا واحد من الحقيقة، وليس كل الجوانب.

والمقصود بالنافذة هنا هى النافذة الجغرافية والتاريخية والأيديولوچية والثقافية وغيرها، التى ينظر منها المؤرخ إلى الأحداث فلا نستطيع أن نطالب مؤرخا أوربيا مسيحيا بأن ينظر إلى الحروب الصليبية على سبيل المثال، من نافذة شرقية إسلامية، وإلا ظلمناه ظلما بينا، لأنه لن يستطيع ذلك مهما فعل، لإفتقاده إلى هذه النافذة ـ وإنما نطالبه بأن يكون أمينا فى نظرته، وأن يقدم لنا الأحداث من منظوره التاريخى بدون تزييف أو تشويه أو تزوير.

وبالتالى، فالمنظور المشروع لأى مفكر مصرى يجب أن يكون هو المنظور المصرى، وليس المنظور العراقى أو الأردنى أو التونسى أو غيره، فلكل من يعبر عنه من عراقيين أو أردنيين أو تونسيين، وليس معنى ذلك أن يكون عمل الباحث أو المفكر هو الدفاع الأعمى عن مصر أو تبرير أخطائها، وإلا أثار السخرية من عمله، وإنما معناه تماما هو أن يخدم هذا الباحث أو المفكر المنظور المصرى بالحقيقة ـ والحقيقة وحدها ـ ولا يفعل العكس، أى يتجنى على الحقيقة.

ولم يكن مطلوبا من محمد حسنين هيكل أكثر من ذلك، وهو أن يكتب كتابا عن حرب الخليج من وجهة نظر مصرية، ويستخدم فيه كل مايملك من مقدرة وبراعة وقدرة على التحليل واستخلاص الحقائق، ليس فقط لإنصاف مصر، وإنما لإنصاف نفسه ككاتب ومفكر مصرى له وزن عربى وعالمى كبير.

فهل فعل هيكل ذلك: هل أنصف الحقيقة وأنصف مصر وأنصف عروبته ونفسه؟ أخشى أن أقول إنه لم يفعل ذلك، بل فعل العكس، رغم أنه يملك كافة العناصر التى تتيح له ذلك، بدليل أننا سوف نستخدم كثيرا من هذه العناصر التى استخدمها فى إعادة تركيب صورة الحقيقة التى بعثرها عمدا لتضبيع معالمها.

لقد كنت أتوقع أن ينصب كتاب عن حرب الخليج على الاجابة عن هذه الاسئلة: ما الذى دفع النظام العراقى إلى غزو الكويت؟ وما الذى حول مساره من تحرير فلسطين إلى إحتلال الكويت؟ وما هو المخطط الذى اتبعه لتحقيق هذا الغرض؟ وماهى الأسباب الحقيقية التى دعته إلى تحدى جيوش أكبر دولة فى العالم ومعها الدول الأوربية والجيوش العربية، والدخول معها فى مواجهة مميتة ؟ وعلى من تقع مسئولية هذه الكارثة الفظيعة التى لم تتعرض لها الأمة العربية منذ حصولها على استقلالها، والتى أعادتها إلى عصر ما قبل الاستقلال؟ إلى آخر هذه الأسئلة التى كان محمد حسنين هيكل خير من يستطيع الاجابة عنها لو

كان رائده من الدراسة الحقيقية التاريخية وليس أية أسباب أخرى.

ولكن هيكل، بدلا من ذلك قادنا فى رحلة «تتويه» واسعة! استغرقت أكثر من ثلاثمائة صفحة من صفحات الكتاب، أى نصفه تقريبا! بدلا من أن يقودنا بشكل مباشر فى رحلة إرشاد واستكشاف! وبدلا من أن يشق بنا أقصر الطرق للوصول إلى الحقيقة، إذا به يخترق بنا الكفور والنجوع! ويتغلغل بنا فى الشوارع الصغيرة والحوارى والأزقة، وقف بنا أمام أدق التفاصيل، التفاصيل التى تتعلق بكل شئ إلا الإجابة عن الأسئلة السالفة الذكر!

وبطبيعة الحال فإن كاتبا كبيرا مثل هيكل لا يفعل ذلك اعتباطا، أو لمجرد استعراض عضلاته العلمية والسياسية وقدرته على حشد المعلومات المهمة وإنما لغرض ذكى، هو توسيع قاعدة المسئولية عن حرب الخليج، وإشراك أكبر عدد من الأطراف فيها، وتقزيم مسئولية النظام العراقى عنها، وتحميل الآخرين ما رفعه عن كاهل هذا النظام من مسئولية، وفتح الباب أمامه للإفلات من عواقب جريرته، أو حشده مع بقية الأطراف فى قفص اتهام واحد!

كلما مضيت فى قراءة كتاب هيكل «حرب الخليج» زاد اقتناعى بأنى أمام مرافعة طويلة فى قضية خاسرة يلقيها محام بارع يعرف أن موكله مذنب من قمة رأسه إلى أخمص قدميه!. كما يشير الدكتور عبدالعظيم رمضان بالإضافة إلى ذلك أن هيكل قد حاول توظيف كتابه هذا من أجل الدفاع عن العراق وعن ذلك يقول: بدلا من أن يقدم هيكل العالم العربى قبل غزو الكويت كعالم فى طريق واحد على درب الوحدة.. قدمه فى صورة عالم يتكرس فيه الإنقسام.. وبدلا من أن يقدم الأمة العربية كأمة فى طريقها إلى التعاون الاقتصادى، قدمها فى شكل أمة «منقسمة بالفكر والفعل والدم على نفسها، بل إن الإنقسام متغلغل فى أعماق كل فرد من أفرادها».

وحديث المؤرخ عبد العظيم رمضان فى هذه الخصوصية بمناسبة حديث هيكل عن مجالس التعاون الاقليمية.. والتى ذكرها فى كتابه بقوله: انها ليست مجالس على طريق الوحدة الشاملة وإنما قفزات فى المجهول وكل منها فى ناحية مختلفة (ص ١٧٧)، وهى مجرد تكريس لانقسام الأمة العربية إلى تجمعات متفرقة تحل محل الجامعة العربية وميثاقها (ص ١٦٨)، كما أنها خصم من قوة الفعل وليست إضافة عليها (ص ١٦٨)، وكل ذلك من أجل تبرئة النظام العراقى من مسئولية الإنقسام الكبير الذى ترتب على اجتياح النظام العراقى للكويت. فعلى الرغم من أن الغزو العراقى للكويت كان تدبيرا عراقياً محضا ـ «والكلام هنا مايزال للمؤرخ الدكتور عبدالعظيم رمضان الذى ضمنه مقاله الثانى» ـ فإن هيكل حاول منذ السطور الأولى لكتابه أن يوهم القارئ بأنه كان تدبيرا أميركياً!!.

منذ أخذ يتحدث عن حاجة الولايات المتحدة بعد سقوط عدوها الأول الاتحاد السوفيتى إلى «عدو جديد» تعبىء ضده شعبها وقواتها المسلحة. وحاجتها إلى «خطر جديد» تستخدمه فى الحصول من الكونجرس الاميركى على الاعتمادات اللازمة للحفاظ على مستوى القوة الأميركية، بل حاجة الرئيس بوش إلى «حرب عادلة» يحفر بها إسمه فى تاريخ أمته!. على أنه نظراً لعنصر الإصطناع فى هذه التبعية فإن هيكل لم يملك إلا أن يقوم بنفسه وبدون قصد بتنفيذها فى أثناء مرافعته!!، ويتضح ذلك من حديثه (ص ٣٥) من كتابه وهو يتحدث عن لقاء بين تاتشر وبوش بعد اجتماع «اسبن»!.

* * *

وفى محاولة جادة من جانب الدكتور عبدالعظيم رمضان للرد على مزاعم هيكل بخصوص محاولته تحميل مسئولية غزو العراق للكويت على جميع

الاطراف يقول الدكتور رمضان: إن مسئولية النظام العراقى عن غزو الكويت والحرب والمصيبة التى ألمت بالعالم العربى هى مسئولية منفردة للعراق ـ ولا تغنى فيها مهارة هيكل ومحاولة توزيعها على جميع الأطراف.. فبعد أن حاول تحميل الاتحاد السوفيتى بنصيب منها بحجة أنه لم يتخذ موقفاً مناصراً للأمة العربية.. فقد أخذ بعد ذلك فى تحميل الكويت نصيبها الأكبر من المسئولية، وفى ذلك فقد تبنى وجهة النظر العراقية بالكامل وبدون تحفظ. وقد بدأ بالحدود.. فالكويت ـ حسب قوله ـ كانت امتدادا لولاية البصرة تحت إدارة إسرة الصباح (ص ٢٦٦) ـ وهى نفس فكرة النظام العراقى الخاطئة..

* * *

وتأكيداً على تبنى هيكل لوجهة النظر العراقية يقول الدكتور عبدالعظيم رمضان: هكذا أخذ يصور تحركات المملكة العربية السعودية للدفاع عن نفسها، وهكذا أخذ يصور حركات الولايات المتحدة الاميركية للدفاع عن مصالحها وهكذا أخذ يصور تحركات مصر لإجبار اللص (النظام العراقى) على رد ما اغتصبه ظلماً وعدواناً ـ إن كل هذه التحركات يصورها هيكل فى كتابه صورة تحمل الإدانه والتشكيك والتلويث، بينما يصور ـ تحركات اللص والمتعاطفين معه فى صورة التقدير والتبرير (١).

وكان من الطبيعى (وهذا ماذكره الدكتور عبدالعظيم رمضان فى جانب آخر من المقال) أن يواصل مسيرته (أى هيكل) وهو يتعرض لرد فعل الغزو العراقى فى السعودية والولايات المتحدة ومصر، فيصور رد الفعل هذا فى الصورة التى تدين هذه الاطراف.. وتبرئ ساحة الملك حسين وصدام حسين أمام التاريخ!. لقد صور

---

(١) د/ عبد العظيم رمضان ـ خواطر مؤرخ ـ مجلة أكتوبر القاهرية.

هيكل التنسيق بين هذه الاطراف الثلاثة فى صورة تآمر على العراق، وصور العراق فى صورة المجنى عليه.. وقد ارتكب بذلك مغالطة كبيرة، فالعراق هو المعتدى وكل تنسيق بين الأطراف الثلاثة هو تنسيق مشروع هدفه إزالة العدوان.

ويصور لنا المؤرخ عبدالعظيم رمضان بعض مواقف التناقض فيما كتبه هيكل حيث يقول: وكان من الطبيعى أن يتخبط فى عرضه تخبطا كبيرا. لقد صور الرئيس الاميركى بوش فى صورة المتلهف على الحرب منذ اللحظة الأولى (ص ٣٧١) ، وأنه منذ اليوم التالى للغزو استقر رأيه على التدخل العسكرى الشامل طبقا للخطة «١٠٠٢ـ٩٠»، وأن المناقشات بينه وبين مجلس الأمن القومى خلصت إلى ضرورة الاتصال بالملك فهد لتأمين وجود القاعدة الوحيدة الممكنة لتنفيذ الخطة.

ولكن يناقض نفسه فى المواضع الأخرى، فينقل عن الرئيس الأميركى فى نفس اليوم أنه صرح للصحفيين بأن معلوماته تشير إلى أنه ليس هناك بلد آخر مهدد بالغزو غير الكويت (ومعنى ذلك أن السعودية غير مهددة) ثم ينقل عن المسز تاتشر التى اجتمعت ببوش فى نفس اليوم قولها لمجلس الوزراء البريطانى بعد عودتها: إنها وجدت بوش وركبه مخلخلة، وإنها أعطته كل تأييدها وتشجيعها لكى يقوم بدوره الضرورى فى تأديب صدام حسين! (ص ٣٥) ـ ثم يعود فيحرف هذا الكلام الذى قالته تاتشر فى موضوع آخر، فيقول إنها قالت لمجلس الوزراء «إنها قوت من عزيمة بوش، فقد خافت ان تصطك ركبه من الفزع من جراء نصائح بعض الخبراء الاميركيين الذين يلحون عليه بضبط النفس»!ـ وواضح أن النص الأول هو الأصح، إذ ليس معقولا أن تصطك ركب الرئيس الأميركى من جراء نصيحة له بضبط النفس، وإنما تصطك ركبه من جراء نصيحة بالحرب.

ثم يقع هيكل فى تناقض آخر، فبعد أن يذكر أن الرئيس بوش، فى اجتماع يوم ٢ أغسطس (وهو اليوم الثانى للأزمة وفقا لتوقيت واشنطن) اختار التدخل العسكرى الشامل طبقا لخطة ١٠٠٢ـ ٩٠، (ص ٣٧٨) يعود فيذكر أنه فى اجتماع اليوم التالى (٣ أغسطس) مع مجلس الأمن القومى سأل: عندما نتفق على حجم مصالحنا الحيوية فى المنطقة، فإننا يجب أن نتوصل على الفور إلى أن الغزو العراقى للكويت غير مقبول، وإذا كان ذلك قرارنا، فالنقطة التالية هى: ماذا يجب أن نفعل، وكيف، ومتى؟» ومعنى هذا الكلام أن الرئيس بوش لم يكن قد اختار بعد التدخل العسكرى !.

وفى ذلك كله يتحدث هيكل عن القرار بالتدخل العسكرى كما لو كان منوطا بإرادة الرئيس بوش وليس منوطا بإرادة صدام حسين! ويرتب على هذا القرار ما وقع من تدخل عسكرى بالفعل! وينسى ان هذا القرار، حتى لو اتخذ فعلا، فإن انسحاب العراق من الكويت، وإعادته حكومتها الشرعية إليها، كان يجعله غير ذى موضوع! ولكن هيكل ـ كما ذكرنا ـ ينظر إلى القرار من المنظور العراقى، وهو منظور يدين أى تحرك يرغمه على الإنسحاب من الكويت وعودة أسرة الصباح، ويعتبره قرارا اتخذ لينفذ، إذ لم يكن فى نيته الانسحاب وإعادة الأسرة الحاكمة.

وحتى يبيع هيكل هذه المغالطة للرأى العام المصرى والعربى، صور زعماء المنطقة العربية فى صورة الدمى التى يحركها اللاعب الأميركى، مسلوبى الإرادة وفى حالة عجز كامل عن الفعل! وعمدة هيكل فى هذا التصوير الملك حسين،فإن بوش أبدى له دهشته من أن الملك فهد لم يبادر إلى طلب مساعدة الولايات المتحدة كما طلبتها الكويت بعد نصف ساعة من وقوع الغزو ! وأضاف إنه قال للملك فهد إنه إذا لم يتحرك الآخرون لحماية مصالحهم، فلن يكون هذا

ذنب الولايات المتحدة، وعليهم في هذه الحالة أن يلوموا أنفسهم، وإن الولايات المتحدة سوف تتصرف وحدها !

ثم يقول الملك حسين إنه طلب وقتذاك من بوش أن «يعطى فرصة معقولة لحل الأزمة في إطار عربي يناقشه الآن مع الأخ الرئيس مبارك»، ولكن بوش لم يقتنع! فقال له الملك حسين: «ألا تريد أن تعطينا فرصة ساعات، فقد نستطيع خلالها عمل شئ؟». ولكن بوش أصر على أنه لا فائدة ! وعندئذ قال له الملك: «أعطنى ٤٨ ساعة» ! ثم كررها الملك: «٤٨ ساعة أرجوك ياسيادة الرئيس».

وواضح التزييف في هذه الرواية الملكية ! فمن يقرؤها يتصور أن القوات الأميريكة كانت تقف على أهبة الاستعداد للهجوم على العراق جوا وبرا وبحرا، وأن الملك حسين أخذ يحاول عبثا إيقاف هجومها ولو لمدة ٤٨ ساعة ! مع أن الحقيقة التاريخية تقول إن الولايات المتحدة في ذلك الوقت ـ أى في اليوم الثانى للغزو ـ لم تكن بحال في أى وضع حربى يتيح لها الهجوم على العراق، وأكثر من ذلك أنها ظلت في هذا الوضع مدة تزيد على أربعة أشهر، ولم تتمكن من القيام بأولى غاراتها الجوية على العراق إلا في يوم ١٧ يناير ١٩٩٢. وبالتالى فإن قصة الملك حسين عن إلحاحه على الرئيس بوش بالانتظار مدة ٤٨ ساعة تبدو قصة مسلية ومضحكة.

ـ الانتظار على ماذا ؟

نعم لم يكن هناك خطر أميركى يستوجب إرجاءه ٤٨ ساعة، وإنما كان الخطر الحقيقى قادما من العراق نفسه، الذى كان في ذلك الحين قد احتل الكويت، وأخذ يقوم بأكبر عملية سلب ونهب في التاريخ، بل يقوم بسلب الكويتيين هويتهم الوطنية التى لم ينتزعها منهم أحد على مدى ٢٥٠ عاما، وتحويلهم إلى مواطنين عراقيين من الدرجة الثانية.

ـ وأكثر من ذلك أن الصورة على الجانب السعودى ـ وفقا لقول هيكل نفسه ـ لم تكن بصورة التخاذل التى صورها بوش للملك حسين وفق رواية الأخير، فعندما وقع الغزو، وسمع به الأمير بندر بن سلطان، سفير المملكة العربية فى واشنطن، وكان فى لندن، عاد على الفور إلى واشنطن، واتصل بالملك فهد تليفونيا يسأل عن التعليمات. وكانت تعليمات الملك إليه: «إن الجماعة عندك (يقصد الحكومة الأميركية) لابد لهم أن يكونوا حازمين» ! وقد رد الأمير بندر بأنه «لم ير أحدا من المسئولين الكبار بعد، ولكنه ـ من كل ما سمع ورأى ـ يشعر أن الأميركان ثائرون، وأنه قصد أن يتصل بالملك قبل أن يقابل أحدا، حتى يكون على بينة» (ص ٣٨٦).

وهذا يوضح أن موقف الملك فهد منذ اللحظة الأولى كان يرى ضرورة استخدام الحزم مع صدام حسين، وهذه كانت تعليماته إلى سفيره فى واشنطن قبل أن يقابل أى أحد من المسؤلين. وقد عاد فشدد على ضرورة ذلك عندما اتصل به الرئيس الأميركى فى نفس اليوم. فقد وجده ـ كما يقول ـ غاضبا وفى حالة صدمة، «وطالب بضرورة إجبار صدام حسين على الخروج من الكويت» (ص ٣٧٩ ـ ٣٨٠). وبطبيعة الحال فإن «إجبار» صدام على الخروج من الكويت، لا يكون عن طريق الشفاعة والقبلات وإنما يكون عن طريق القوة!.

ومعنى ذلك أن طلب استخدام القوة جاء من الجانب السعودى. وهو أمر طبيعى، لأن الخطر على المملكة العربية السعودية من غزو العراق للكويت هو أكبر من الخطر على الولايات المتحدة، فالخطر على الأخيرة مجرد خطر على المصالح، ولكنه على المملكة العربية السعودية خطر على الوجود والبقاء.

وهذا كله يوضح أن المملكة العربية السعودية لم تكن فى هذه الأزمة مجرد

دمية يحركها الرئيس بوش فى سعيه وراء حرب يحفر بها اسمه فى تاريخ بلده، بل كانت فاعلا أصليا، ومحركا رئيسيا فى الأحداث. ولكنها فى الوقت نفسه، وفى اليوم الأول من الغزو، لم تكن فى وضع يدعوها إلى استدعاء القوات الأميركية، لأن العراق كان عضوا فى مجلس التعاون العربى الذى يضم مصر والأردن، وكان الملك فهد فى حاجة إلى أن يعرف أن العمل العراقى لم يجر بالتشاور مع البلدين. وقد عرف الملك فهد حقيقة موقف الرئيس مبارك مبكراً، ولكنه لم يتحقق من موقف الملك حسين إلا متأخرا، وعندما تم ذلك كانت حركة فرز هائلة تقسم المنطقة العربية إلى قسمين: قسم يتزعمه الرئيس مبارك والملك فهد والقسم الثانى يتزعمه صدام والملك حسين !

ومن الأمور التى يناقشها الدكتور عبدالعظيم رمضان بموضوعية ما أثاره هيكل فى الفصل الخاص بمؤتمر القمة الطارئ الذى اختار له عنوان: «ضباب حول القمة». حيث صوره هيكل بأنه مؤتمر عربى يجتمع لتنفيذ «مخطط أميركى» ! أيضا الرد على ما أثاره هيكل من أن حرب الخليج كان صراعاً بين الولايات المتحدة والأمة العربية، ولم تكن حربا لتحرير الكويت وإيقاف التهديد العراقى لدول شبه الجزيرة العربية ووقف مد السيطرة العراقية إلى بقية إتحاد العالم العربى.

والحقيقة كما يوردها الدكتور عبدالعظيم رمضان فى مقاله ردا على هذا القول: إن الصراع فى حقيقته لم يكن بين الولايات المتحدة والأمة العربية أو للدقة غالبيتها العظمى والنظام العراقى، بعد أن خان هذا النظام روابط الأخوة وميثاق جامعة الدولة العربية والمواثيق الدولية. وأصبح يشكل مصدر خطر على هذه المنطقة ـ خطر على دول الخليج والسعودية بشكل يهدد وجودها وهويتها ـ وخطر على مصر لأنه يهدد بتحويلها إلى ولاية عباسية من نتيجة إقامة إمبراطورية عراقية على جانبها الشرقى المتاخم للبحر الأحمر،

وخطر على سوريا بسبب الصراع القديم بين جناحي البعث فى البلدين.

وخير ختام لجولتنا هذه عبر هذه المعركة التى استخدم فيها القلم والأوراق وكانت ساحتها الصحف والمجلدات.. أن نتوقف عند الأسباب التى دعت هيكل لا يتحدث عن العسكرية المصرية التي أبدعت وبرعت فى حرب الخليج.. ورد المؤرخ الدكتور عبدالعظيم رمضان على ذلك.. وقد ناقش الدكتور رمضان هذه القضية في المقال رقم (١٣) ضمن سلسلة المقالات النقدية التى نشرها فى إحدى المجلات المصرية التى تصدر إسبوعياً [(١)] .. ويقول الدكتور فى بداية حديثه ونقده: ربما كان أقرب مايكون إلى العقل عندما يقرأ المرء كتابا يكتبه مصرى عن حرب اشترك فيها الجيش المصرى مثل حرب الخليج، أن يخصص هذا الكاتب صفحات من كتابه يتحدث فيها عن دور هذا الجيش فى تلك الحرب، خصوصا إذا كان هذا الدور مشرفا شهد به أعظم قادة هذه الحرب التى اشتركت فيها جيوش ثلاثين دولة، وخصوصا أيضا إذا كان هذا الدور يتطلب شجاعة من نوع خاص بعد دعايات النظام العراقى السوداء عن الموانع الخطيرة التى أعدت على مدى ستة أشهر طويلة من بدء الاحتلال لكى تنسف وتدمر كل من يجرؤ على الاقتراب منها !

لذلك فإنها تعد مفاجأة حقيقية أن يتحدث هيكل عن كل شئ إلا عن هذا الجيش الذى استبعده تماما من حرب الخليج، كأنما هو وهم من الأوهام وليس حقيقة واقعة فرضت نفسها بدماء الشهداء.

وفيما يبدو أن هيكل شعر بأنه مطالب بتقديم توضيح لهذا الاغفال المتعمد لدور الجيش المصرى، ففى حديثه الذى نشر بمجلة المصور يوم ٨ مايو ١٩٩٢،

(١) مجلة أكتوبر بتاريخ ١٩٩٢/٧/٥.

سئل على أسباب «تهميشه الدور المصرى» ، فقال: «إذا كنت تتحدث عن الجانب العسكرى، فقد تجنبت الحديث فيه.

لقد كنا أمام أول حرب جوية فى التاريخ، هذه الحرب كان من المؤكد أنها ستصبح حرب جو بالدرجة الأولى، وحرب صواريخ. والذى حسم نتائجها كان الجو والصواريخ.. لقد كان هناك باستمرار تصور عند كل الاستراتيچيين فى العالم أن الطيران من الممكن أن يعمل الدور المساعد للقوات البرية لكن أى نصر لا يتحقق إلا بالوجود من خلال القوات البرية على الأرض. هذه الحرب أكدت أنه لم يعد من الضرورى أن تحتل الأرض» !.

هذا ما قاله هيكل حرفيا، ونشر بمجلة المصور ولم ينكره. ولما كانت حرب الخليج قد اشتركت فيها قوات برية وصل عددها إلى نصف مليون جندى، فقد كان عليه أن يفسر هذا التناقض بين قوله السابق وهذه الحقيقة الدامغة، وقد فسره تفسيرا غريبا، فقال بالحرف الواحد: «تم وضع قوات برية وذلك إذا حدث أى تطور مفاجئ (!) أولا: تمنع العراقيين من الدخول والقيام بمعركة داخل السعودية كنوع من الهروب من ضرب العراق (!) لقد تم عمل درع، درع الصحراء نفذت بالكامل، أما عاصفة الصحراء فلم ينفذ منها إلا الشق الجوى (!).. لاشئ إلا الحرب الجوية، الحرب الجوية بدأت من يوم ١٦ فبراير حتى يوم ٢٤ ، والحرب البرية لم يحدث فيها شئ (!).

هكذا بكل بساطة لخص هيكل حرب الخليج، وهكذا ـ بكل بساطة ـ تجرأ على الحقائق التاريخية لمجرد تجنب الحديث عن دور القوات المصرية فى كتابه، لأن هذا الدور ينتمى إلى الحرب البرية، وهى حرب «لم يحدث فيها شئ» ! ـ حسب قوله ـ ولأن حرب الخليج ـ كما قال ـ «أكدت أنه لم يعد من الضرورى أن تحتل الأرض» !

ولمؤرخ متواضع مثلى أن يأسف لكل هذه الأخطاء التى وقع فيها كاتب كبير مثل هيكل، وأولها ما حاول تأكيده من أن حرب الخليج هى أول حرب جوية فى التاريخ ! وتبريره ذلك بأن «الذى حسم نتائجها كان الجو والصواريخ»، وأن القوة الأميركية إنما كانت توجه كلامها إلى عالم المستقبل وتقول: «الآن استطيع أن أحقق نصرا دون أن أتورط على الأرض، واستطيع أن أعاقب دون أن أدفع الثمن لذلك» !

فقد نسى هيكل ـ أو أنه أراد أن يتناسى ! ـ أن أول حرب جوية فى التاريخ، بهذا المعنى الذى ذكره تماما، لم تكن حرب الخليج، وإنما كانت حرب يونيو ١٩٦٧ ! فهل يستطيع أن ينكر أنه بعد الضربة الجوية الإسرائيلية التى قضت على الطيران المصرى على أرضه، انتهت المعركة تماما، ولم تعد هناك سوى نزاعات أقرب إلى نزاعات الموت منها بالقتال الحقيقى بين الجيوش المتكافئة ؟ وألم تستهدف إسرائيل بالضربة الجوية التى أعدت لها على هذا النحو، أن تنهى الحرب بالفعل لصالحها، حيث لم يكن فى وسع القوات المصرية القتال فى صحراء سيناء دون غطاء جوى فعال يشاركها المعركة ؟ فأى جديد أتى به هيكل يبيح له أن يفخر على هذا النحو بهذا الاكتشاف الخارق إلى حد أن يبنى عليه إهماله لدور القوات البرية فى حرب الخليج ـ خصوصا القوات المصرية ؟

أما الخطأ الثانى فهو إخفاؤه ـ عمدا ـ السبب الحقيقى الذى دعا قوات التحالف بقيادة الجنرال شوارتزكوف إلى تخصيص كل تلك القوة الجوية الجبارة لضرب العراق، الذى صوره فى حديثه على أنه لم يكن ضربا وإنما كان «قتلا عدة مرات» للعراق! ففى ص ٥٠٠ من كتابه يقول إن «العراق لم يتصور أن هدف الحرب كان تدمير العراق ولم يعد تحرير الكويت!» ـ وكل ذلك فى إطار تصويره لحرب الخليج

على أنها لم تكن حربا لتحرير الكويت وإنما لتدمير العراق !

فكيف كان هيكل يتصور ـ إلا من خلال رؤيته البعثية التى لا ترى إلا ما كان يراه قادة العراق ـ أن يحدث تحرير للكويت بدون تدمير للعراق ؟ لقد تميزت القيادة العراقية وحدها بهذا الحساب الخاطئ، فى سلسلة حساباتها الخاطئة التى بدأت باحتلالها الكويت ! بينما كان رجل الشارع المصرى العادى يعرف تماما أنه لن تستطيع قوات التحالف تحرير الكويت قبل القضاء على القوة العسكرية والقدرات التدميرية للعراق، التى كان يتشدق بها ويهدد بها قوات التحرير. ولكن هيكل يتحدث عن تدمير العراق كما لو كان عدوانا ارتكبته القوات الأميركية فى غفلة من الزمن ومن الرأى العام العربى الذى بدأ بعدها يفيق إلى هول الكارثة!ـ حسب قوله! (ص٥٦٦).

وينسى هيكل أن الكارثة التى كان يتابعها العالم العربى، والعالم كله، فى ذلك الحين، كانت كارثة الحرب التى شنها العراق ضد البيئة فى يناير ١٩٩١، عندما بدأ يضخ البترول فى مياه الخليج بمعدل ٤ ملايين جالون يوميا ! دون أن يكون لذلك أية ضرورة عسكرية أو هدف عسكرى، الأمر الذى شكل كارثة بيئية أثرت على مياه الشرب والنباتات العائمة والأسماك والطيور والحياة البحرية التى كانت تزخر بها المنطقة ! ثم اختتم هذا العمل الإجرامى بإشعال النيران فى أكثر من ٦٣٠ بئرا للبترول، شكلت كارثة بيئة أخرى لا تقل خطورة، وكلفت الكويت نحو ٧٥ مليار دولار ! دون أن يكون لهذا العمل أى مبرر عسكرى سوى الانتقام الأعمى الذى لم يسبق له مثيل فى طول التاريخ وعرضه!

هذه هى الكارثة التى أفاق عليها العالم العربى، وليست الكارثة التى أراد هيكل تصويرها، وهى تدمير القدرة التدميرية العراقية التى جعلها النظام العراقى بغبائه وحمقه وحساباته الخاطئة تبدو موجهة نحو العالم !

الفصل الرابع

قصة حرب الخليج

بين

القراءة البعثية

والقراءة المصرية !

ويواصل الدكتور رمضان حديثه عن كتاب هيكل فيقول:

في كل مرة مضيت فيها في قراءة كتاب الأستاذ الكبير محمد حسنين هيكل عن حرب الخليج، شعرت بأنني أقرأ كتابا كتبه طارق عزيز أو طه ياسين رمضان أو سعدون حمادي! مع فارق كبير يتصل بالأسلوب الساحر الشائق الذي تميزت به كتابة الأستاذ هيكل والحرفية الممتازة التي اشتهر بها، وكلها مما لا يملكه الآخرون.

وحتى أعيد صياغة العبارة السابقة بأسلوب تاريخي، وأوضح ما قلت للقارىء بطريقة أفضل، فإني أستعير من صدام حسين حديثا قديما يرجع تاريخه إلى عام ١٩٧٧، عندما دعا إلى عقد اجتماعين موسعين لمكتب الاعلام العراقي في ١٩ سبتمبر وأول ديسمبر ١٩٧٧، رسم فيهما للمؤرخين الباحثين طريقة كتابة التاريخ العراقي، ودعا إلى إعادة كتابة التاريخ «بحيث تأخذ هذه الكتابة ذات الخصوصية لطريقنا البعثي الخاص» أي كتابة التاريخ العربي - كما قال - «ومن وجهة نظرنا، والتركيز على الكتابة التحليلية وليس السردية الوقائعية، على أن يأخذ هذا التحليل لحركة التاريخ ذات الخصوصية التي أخذت بها نظرية حزب البعث العربي الاشتراكي»!

ثم فسر كلامه قائلا: «نحن لسنا فى حاجة إلى تزوير التاريخ أو اصطناعه من أجل أن نقرأه قراءة بعثية، وإنما نحن بحاجة إلى أن نفهمه فهما بعثيا ليس غير. وإن ذلك ليضفى عليه من الحقيقة ما لم يكن ظاهرا منه» !.

ثم مضى خطوة أخرى فى تفسير كلامه، فندد بالمؤرخين الباحثين الذين يسمون أنفسهم موضوعيين، قائلا: «إنهم يعرضون وجهات نظر مختلفة، واحتمالات عديدة لتفسير حادثة واحدة مستقاة من تفسيرات مطروحة أو مستنتجة، ويتركون للقارىء أن يستنتج ما يشاء، ويتبنى من التفسيرات ما يتوافق مع هواه، ولكن فى كل الاحوال يجب ألا يتعامل البعثى مع التاريخ وعموم المسائل الفكرية والاجتماعية بمثل هذا التعامل!» .

هذا النص الذى أوردته عن صدام حسين ربما يفيد فى توضيح العبارة التى صدرت بها هذا المقال، وبما أعنيه منها. فلم يفعل هيكل فى كتابه عن حرب الخليج أكثر من ذلك، لقد قرأ حرب الخليج قراءة بعثية، وكتبها كتابة بعثية، وقدمها للقارىء المصرى والعربى والعالمى من منظور بعثى عراقى!

وبمعنى آخر ـ على حسب التعبير الانجليزى ـ فإن هيكل وضع قدميه فى الحذاء العراقى، ووقف يتفرج على حرب الخليج ويكتب وقائعها كما لو كان عراقيا! وهذا هو الخطأ الأكبر فى الكتاب، بل هو خطيئة الكتاب الرئيسية، فلم يكن مطلوبا من هيكل، الكاتب المصرى المرموق، أكثر من أن يضع قدميه فى حذائه المصرى، الذى يملكه بالفعل منذ نعومة أظافره، ويقرأ حرب الخليج قراءة مصرية، ويكتبها كتابة مصرية، ثم يدع للعراقيين أن يكتبوا تاريخ حرب الخليج كتابة بعثية عراقية كما يشاءون!

ولو فعل هيكل ذلك لجنب كتابه أخطاء كثيرة وقع فيها بحكم الرؤية البعثية، ولساق نصوصه وفسر وثائقه على النحو الصحيح الذى يتفق مع واقع

شياء. ذلك أنه في أزمة الخليج كان هناك طرفان: الطرف العراقي وبقية العالم!

وكان الطرف العراقي واقفا على رأسه، والعالم واقفا على قدميه، ولكن طرف العراقي كان يتصور أنه وحده يقف على قدميه، بينما العالم يقف على سه! وقد قدم الأستاذ هيكل كتابه من المنظور العراقي، أي من منظور أن العالم ف على رأسه، بينما النظام العراقي يقف على قدميه.

ومن هنا فإننا في هذه المقالات لا نفعل شيئا أكثر من أننا نقرأ كتاب هيكل اءة مصرية! ونستخدم مادته العلمية، التي ساقها في شكل بعثي، لنسوقها في كل مصري، أي أننا نعدل الصورة، أو نعدل المنظور!

لقد ساق هيكل كتابه على أساس أن حرب الخليج هي حرب خاصة بين لايات المتحدة والعراق، أو بين الولايات المتحدة والأمة العربية! وهذا هو المنظور راقي تماما لهذه الحرب، وهذه هي القراءة البعثية العراقية تماما.

وعمدتنا في ذلك هيكل نفسه. ففي صـ ٤٦٣ من كتابه يقول بالحرف احد: «والحقيقة أن القيادة العراقية كانت قد توصلت، منذ وقت مبكر من زمة، إلى أن الأمور خرجت من يد الدول العربية، وأن الولايات المتحدة أمسكت كل خيوط الأزمة»!

وفي صـ ٤٧٢ يتحدث عن مجمل ما توصلت إليه اجتماعات مجلس يادة الثورة العراقي وقيادة حزب البعث من قناعات بخصوص الأزمة، فيقول: «إن ن أهم هذه القناعات أن الدول العربية في الوقت الحاضر ليست هي التي تملك مام الموقف، وبالتالي فإن البحث عن حل عربي لا فائدة فيه الآن، لأسباب كثيرة، أولها وآخرها أن الأمر خرج من أيديهم منذ ساعات الأزمة الأولى»!

وفي حديثه عن اجتماعات مجلس قيادة الثورة في بغداد، يقول: «إن

مناقشات المجلس كانت قد توصلت إلى قناعات مؤداها أن الأزمة لم تعد الآن قضية بين العراق والكويت، وأن الطرف الآخر فى المواجهة أمام العراق قد أصبح الولايات المتحدة الأميركية بكل ما تريده وتطلبه من العراق نفسه» !

هذا ـ إذن ـ هو الحذاء العراقى الذى وضع هيكل قدميه فيه منذ اللحظات الأولى وهو يكتب عن حرب الخليج، فلم يفعل شيئا أكثر من أنه قدم هذه الحرب من هذا الموضع تماما! ومن هنا خرج بنظريته التى تقول: «إن الولايات المتحدة كانت فى حاجة إلى عدو جديد تستطيع أمام خطره الحقيقى، أو الموهوم، أن تواصل تعبئة شعبها وقواتها المسلحة، وإنها كانت فى حاجة إلى خطر جديد لجعل الكونجرس الأميركى يوافق على اعتمادات التسليح، وكان رئيسها بوش فى حاجة إلى حرب عادلة ينتصر فيها ويحفر بها أسمه على تاريخ أمته» .

وحين كتب وقائع مؤتمر القمة العربية الطارئة، الذى دعا إليه الرئيس مبارك فى ١٠ أغسطس، كان يرتدى أيضا نفس الحذاء العراقى، وينظر إلى المؤتمر من هذا الموقع! ولم يخرج تحليله ورؤيته له عن رؤية أو تحليل يكتبه طارق عزيز! فقد مهد له بالخط الذى رسمه بوش على الرمال لمناطق النفوذ الجديدة للولايات المتحدة، وتحدث عن الانطباع الذى تولد لدى «بعض الوفود» بأن القمة العربية مجتمعة فى إطار هذا الخط الذى رسمه بوش على الرمال ومده بيكر إلى الجبال! وحشد كافة الشكوك حول هذا المؤتمر، ابتداء من «سر مشروع القرار» الذى كتبته أميركا بالإنجليزية وترجم إلى العربية! حتى هياج القذافى لما يراد منه من أن يختم بأصابعه على هذا البيان! ثم اتهام طارق عزيز للشيخ صباح الأحمد الصباح بأنه عميل للاستعمار! ثم انفعال ياسر عرفات واتهامه للمصريين الموجودين بأنهم «جميعهم عملاء» !. إلى آخر هذه الرؤية البعثية الخالصة للمؤتمر.

ومن هنا لم يستطع هيكل أن يرى المؤتمر بعين مصرية، أو ينظر إليه من

منظور مصرى، فيكتب لنا ـ بالتالى ـ أسرار الاتصالات التى سبقت المؤتمر بين الأطراف العربية المتواطئة مع العراق، والتى حضرت المؤتمر بقصد واحد هو: تمكين العراق من الكويت، ومنع صدور أى قرار بالادانة للغزو، وتمزيق الوحدة العربية، ومنع صدور قرار إجماعى بإرسال قوات عربية فى هذه القضية الخطيرة التى لم يسبق لها مثيل فى تاريخ جامعة الدول العربية.. غزو دولة عربية لدولة عربية أخرى. لقد كان كل ما قدمه هيكل عن هذا المؤتمر هو الرؤية البعثية العراقية وحدها، ولم ينس أن يسوقها تحت عنوان: «ضباب حول القمة»!

ولأن هيكل يرتدى الحذاء العراقى، فإنه قدم لنا الرئيس الأميركى بوش من ذات الرؤية العراقية، التى تتصور الرئيس الأميركى فى شكل صدام حسين آخر! يملك فى يده كل المفاتيح، ويسيطر على كل الأمور، وتكفى كلمة منه لسوق الشعب الأميركى إلى الحرب كما ساق صدام الشعب العراقى إلى الحرب، وقد وصفه بأنه يتصرف «كما يتصرف فنان فرغ من رسم لوحته ثم وقف يتأملها ويضيف إليها لمسة ضوء أو ظل»!

وفى ذلك ألغى هيكل كل ما تعلمه وعرفه عن النظام الأميركى لصالح الرؤية العراقية! فالرئيس بوش ـ فى نظره ـ هو العنصر المحرك للأحداث فى طول الكتاب وعرضه، وهو الذى يريد الحرب لينتصر فيها ويحفر اسمه فى التاريخ الأميركى! ولكن هيكل لا يستطيع أن يستمر طويلا فى إسباغ كل هذا النفوذ على الرئيس الأميركى، فتطورات الأحداث تجبره على سحب كل ما ساقه من كلام حول حاجة الولايات المتحدة إلى عدو جديد وخطر جديد وحرب جديدة، وإذا به يبرهن على العكس، ويعرض لنا الكونجرس الأميركى فى حالة هلع من الحرب!

ففى عرضه لجلسات الاستماع المفتوحة للمناقشة حول قضية السلام

والحرب، يورد كيف أخذت مجموعة من الشيوخ والنواب تبدى خوفها من أن تتكرر تجربة فيتنام، وتصر على ضرورة أن يذهب الرئيس الأميركى إلى الكونجرس، ويطلب منه طبقا للقواعد الدستورية تفويضا صريحا بإعلان حالة الحرب، ويقف أحد النواب وهو أندى جاكوبس ليقول إنه حصل على تقرير من وكالة المخابرات المركزية الأميركية يقدر أن خسائر الولايات المتحدة فى الحرب قد تصل إلى ٣٠ ألف قتيل، وأنه فى اللحظة التى ينشب فيها القتال فإن سعر البترول سوف يقفز إلى مائة دولار للبرميل، ويعترف هيكل بأن الرئيس بوش أخذ يحس، بسبب جلسات الاستماع هذه التى تذاع على الهواء مباشرة، بأن التأييد الكاسح الذى حظى به فى بداية الأزمة قد يضعف بسبب تأرجح اتجاهات الرأى العام ومشاعره!

ثم يتحدث عن الصور المؤثره التى أخذت الصحف الأميركية ترسمها للجنود الأميركيين من الشباب والرجال، الذين انتزعتهم التعبئة من وسط زوجاتهم وأطفالهم لتقذف بهم فى بلاد بعيدة، لا يعرفون عنها شيئا سوى أن سكانها يركبون الجمال، ويسكنون الخيام، ويملكون بترولا يتقاسمون أرباحه مع شركات كبرى هى دائما موضع شك فى نظر المواطن الأميركى العادى ... كانت تقول ما معناه لماذا يموت بعض رجالنا من أجل مصالحنا فى الخليج؟!.

ثم يمضى هيكل فيناقض نفسه ـ ببراعة! ـ فيما ذكره عن الرئيس الأميركى المتعطش للحرب، والإدارة الأميركية، التى صورها على طول صفحات كتابه، بأنها إدارة عدوانية تتربص بالعراق وتتلمس الذرائع لشن الحرب عليه، فيقول إن الرئيس بوش كان يشعر فى أعماقه أن هناك اتجاها قويا داخل إدارته، يرى أن العقوبات الاقتصادية والحصار الحديدى حول العراق، يمكن أن يؤدى إلى تحقيق هدف الحرب دون تكبد تضحياتها! وأن كلا من جيمس بيكر وزير

الخارجية، والجنرال كولين باول رئيس هيئة أركان الحرب المشتركان ـ فى حساب بوش ـ ضمن هؤلاء الذين كانوا يريدون للعقوبات والحصار الاقتصادى أن تحقق الهدف النهائى دون داع لتجربة النار، وكان لكل منهما أسبابه: كان بيكر يرى أن تجربة النار قد تعرض خطته لتحقيق تسوية لأزمة الشرق الأوسط، إلى مخاطر لا داعى لها مادام هناك بديل يضمن تحقيق أهدافها على البارد.

إذن فإن الصور فى الولايات المتحدة بالنسبة للبرلمان والإدارة الأميركية، كانت تختلف عن الصورة فى العراق، سواء بالنسبة للمجلس الوطنى العراقى، الذى رأيناه فى التلفزيون يصوت بالإجماع على الانتحار! أو بالنسبة للجيش العراقى الذى كان «يريد ما هو أكثر من الكويت»! ـ كما صوره هيكل بنفسه (صـ٤٦٤). ولكن المنظور العراقى حجب عن عين الأستاذ هذا الفارق، فساق كتابه كما لو كانت الولايات المتحدة صفا واحدا مع الحرب وراء بوش!.

ثم يواصل هيكل مناقضته لنفسه فى هذا التصوير الذى قدمه، فيعترف (صـ٥٣٢) بأن الكونجرس لم يصوت لصالح بوش إلا بفارق صوتى طفيف فى مجلس الشيوخ (٥٢ ـ ٤٧) أى بفارق خمسة أصوات فقط! ـ أى أنه كان يمكن أن يكون العكس فينهار كل شيء.

وفى إطار هذا المنظور البعثى العراقى الذى قدم هيكل منه حرب الخليج، فإن كل شيء فى الكون يسير وفق المشيئة الأميركية، ومجلس الأمن يتكون من إمعات وبصامين بأصابعهم على ما تقدمه لهم الولايات المتحدة من قرارات! فيقول (صـ٤٦٥) :

«لم يكن العراق يتوقع أن يجد ريحا مواتية من الأمم المتحدة، ولكنه كان يظن أن الآراء سوف تتوزع بما لا يسمح بصدور قرارات حاسمة. وكانت المفاجأة أن الولايات المتحدة سيطرت بالكامل على أجواء الأمم المتحدة وضبطتها، بل

تمكنت من تكييفها على درجة الحرارة والضغط وسرعة الريح التى تريدها (!) .

«وتلاحقت القرارات وكلها تدين العراق أو تحاصره على نحو لم يسبق له مثيل فى تاريخ الأمم المتحدة. ولم يكن ذلك مثار دهشة العراق وحده، وإنما كان مثار دهشة حتى لدى السكرتير العام للأمم المتحدة الذى كان يقول: إنه وجد الأعضاء الخمسة الدائمين أثناء أزمة الخليج، يتصرفون كأنهم أعضاء فى «ناد خاص يجمعهم فى ود حميم»! وقد أضاف الأعضاء الخمسة الدائمون فى ذلك الوقت إلى سلسلة قراراتهم السابقة قرارا جديداً بفرض الحصار الجوى على العراق، بما فى ذلك الطلب من الدول الأعضاء فى الأمم المتحدة إغلاق فضائها الجوى أمام الطيران العراقى من أى نوع ولأى سبب» .

ومعنى ذلك أن المنظور العراقى لايسمح لهيكل أن يعرف هذه الحقيقة البسيطة، التى كان من السهل عليه رؤيتها بسهولة لو كان يرى الأمور بالمنظور المصرى، أو حتى بالمنظور الذى كان يراها به العالم أجمع! وهى أن الجريمة التى ارتكبها النظام العراقى، بتسوية مشاكل الحدود بينه وبين جارته العربية الكويت، عن طريق الاحتكام إلى السلاح وغزو الكويت، قد أغضبت العالم كله، شرقه وغربه، وشماله وجنوبه، ولم تترك له من معين سوى حفنة الدولة العربية التى اشترى صدام حكامها! فهو لايرى فى وقوف الدول إلى جانب ميثاق الأمم المتحدة والقانون الدولى إلا مظهرا من مظاهر التبعية للولايات المتحدة والخضوع لإرادتها! بل إنه حتى يتناسى أن تاريخ الأمم المتحدة لم يشهد قضية مثل قضية احتلال العراق للكويت، فهو يتعجب ـ باسم النظام العراقى ـ لأن الآراء لم تتوزع فى مجلس الأمن بما لا يسمح بصدور قرارات حاسمة! مع أن عدم صدور مثل هذه القرارات الحاسمة هو الذى يستوجب العجب؟!

الفصـل الخـامس

قابل كلاى

ورفض بيكر

في معظم ما عالجه الأستاذ الكبير محمد حسنين هيكل من موضعات في كتبه في الماضى، كان يتناول قضايا تاريخية فقدت تأثيرها على الحاضر لحد كبير، ولم يكن الخلاف معه حولها يمثل أهمية ملحة، وبالتالى كان يمكن تأجيل الحوار إلى أن يأتى حينه. ولكن الأمر يختلف بالنسبة لكتاب هيكل الأخير حول حرب الخليج، ففيه يتناول الحاضر، بل يوغل فى الحاضر! ومن خلاله يستطيع أن يغير مفاهيم، ويؤثر على الرأى العام بالحق أو بالباطل، ويكون اتجاهات جديدة. ويواصل الدكتور عبد العظيم رمضان مناقشته حيث قال:

وحتى أوضح ما أقول، فإن مايحتويه كتاب هيكل عن حرب الخليج يختلف كل الاختلاف عما عرفه شعبنا عن هذه الحرب، بل يتناقض مع ما عرفه هذا الشعب وساند من أجله قيادته السياسية.

فقد عرفها شعبنا على أنها حرب تحرير عادلة خاضتها قواتنا المسلحة إلى جانب أكبر تحالف عسكرى عالمى عرفه التاريخ، من أجل تخليص الكويت من براثن جيش احتلال غادر، دهم شعب الكويت بليل، وانطلق يعبث فى الأرض فسادا، وينهب ويسرق وينقل إلى العراق كل ما يصادفه

من ثروات ومنقولات، ويحول شعب الكويت إلى شعب من اللاجئين.

ولكن ما يقدمه هيكل فى هذا الكتاب هو أكثر اتساقا مع ما عرفه شعب العراق عن هذه الحرب. فهى حرب عدوانية شنتها الولايات المتحدة ضد العراق وشعبه، بسبب استرداد جيش العراق جزءا عزيزا من أرض الوطن كان تابعا للبصرة وفصلته يد الانجليز عن بقية التراب الوطنى!

وفى هذه الحرب العدوانية كان اهتمام الولايات المتحدة بتدمير العراق أكبر من الاهتمام بتحرير الكويت، حتى إذا ما انتهت الحرب «كانت ميادين القتال (فى العراق) لوحة كبيرة مخيفة من الحريق وبحيرات الدم، وغابات من العتاد المدمر» (صـــ ٥٦٦).

والسؤال الآن: أى من هاتين الصورتين تتفق مع الحقيقة التاريخية؟ وأيهما تتفق مع الأوهام؟ لقد اختفت تماما من كتاب هيكل كل الفظائع والمنكرات التى ارتكبها الجيش العراقى فى الكويت، والتى لم يكن لها أى مبرر تجاه شعب شقيق سانده فى حربه مع إيران منذ اللحظة الأولى، وكان يصدر لحسابه يوميا ١٢٥ ألف برميل وفاء لالتزامات متعاقد عليها فى الأسواق، فضلا عن ٥ مليارات دولار قدمها له بعد أسابيع قليلة من الحرب كقرض لمساعدته على أغراض الحرب، ولم يسدد العراق فلسا واحداً!

كل الفظائع والمنكرات التى ارتكبها الجيش العراقى فى الكويت، والتى اختتمها بجريمة منكرة تتمثل فى إشعال النيران فى نحو ٦٣٠ بئرا من البترول، لا تجد لها أى مكان فى كتاب هيكل عن حرب الخليج، كأنها تنتمى لحرب البوير أو لحروب الوردتين فى انجلترا، ولا تنتمى للحرب التى يعالجها فى كتاب تبلغ صفحاته ٦٣٥ صفحة!

أما الصورة التى يرسمها للولايات المتحدة ولرئيسها بوش، كدولة تبحث عن عدو، ورئيس يبحث عن حرب عادلة، فإنه لا يملك من التدليل عليها غير الرؤية البعثية العراقية التى توصلت ـ منذ وقت مبكر من الأزمة ـ إلى أن الطرف الآخر في المواجهة قد أصبح الولايات المتحدة بكل ما تريده وتطلبه من العراق! ـ كما ورد فى كتابه ـ ولكنه لم يستطع أن يدلل عليها من مواقف الولايات المتحدة أو من مواقف الرئيس الأميركى بوش.

بل إن ما أورده هيكل من مواقف الولايات المتحدة ورئيسها يثبت العكس، وهو أن الولايات المتحدة كانت تخشى من الحرب، وكان الرئيس بوش يتلمس كل الوسائل لإقناع صدام حسين بالانصياع لقرارات مجلس الأمن، وأن الولايات المتحدة قدمت عدة مبادرات لتفادى نشوب الحرب، قابلها صدام بالرفض!

ويسوق هيكل ذلك بطريقته الخاصة! ففى حديثه عن المبادرة التى قامت بها الولايات المتحدة بعد قرار مجلس الأمن رقم ٦٧٨ فى ليلة ٣٠ نوفمبر، الذى أعطى العراق ستة أسابيع كمهلة يقوم فيها بتنفيذ مجمل قرارات مجلس الأمن، أو يتعرض للهجوم العسكرى، قدم هيكل هذه المبادرة فى شكل استفزازى! فلم يروها على لسان الرئيس بوش، وإنما رواها على نحو فريد، من خلال حفل عشاء فى بيت المندوب الفرنسى الدائم لدى الأمم المتحدة السفير «بيير لوى بلان» حضره وزير خارجية فرنسا «رولان دوما»، وساقها على النحو التالى:

«بينما كان الجميع ما زالوا حول المائدة بعد انتهاء العشاء، دخل المستشار الصحفى للوفد الفرنسى الدائم لدى الأمم المتحدة، يحمل ورقة ذهب بها إلى السفير الفرنسى بيير لوى بلان، الذى قرأها ثم ناولها عبر المائدة إلى وزير خارجيته، وقرأها الوزير الفرنسى، واحتقن وجهه، وعلا صوته قائلا:

«إن هذا تخريــب» ! ثم بدأ يحكي لبقية المدعوين حول مائدة العشاء أن الرئيس «بـوش» أعلن على التو مبادرة أميركية تقترح أن يقوم وزير خارجية العراق، طـارق عزيـز، بزيارة واشنطن والاجتماع به، ثم يقوم وزير خارجيته جيمس بيكر بزيارة بغداد للاجتماع بالرئيس صـدام حسـين. وأن الهدف من ذلك ـ طبقا لما قالـه بوش فى مؤتمره الصحفى الذى عقده قبل دقائق ـ هو المشى ميلا اضافيا آخر من أجل تحقيق السلام».

«وكان تعليق وزير الخارجية الفرنسى أن هذه مناورة يقصد بها الرئيس الأميركى أن يواصل احتكار إدارة الأزمة، وأن يصد آخرين عن التقدم لبذل جهودهم! ثم علق دوما بعد ذلك قائلا: «لا يمكن أن يكون جادا» ! وكررها مرتين! وكان يقصد الرئيس الأميركى چورچ بوش» (صـ ٥٠٣ ـ ٥٠٤).

هذا ما أورده هيكل عن مبادرة سلام قدمها الرئيس الأميركى، الذى وصفه بأنه يسعى إلى حرب عادلة يحفر بها اسمه فى تاريخ بلده، وهذه الصورة التى قدمها بها، وهى أنها «تخريـب»، وأن الرئيس الأميركى «لا يمكن أن يكون جـادا» عندما قدمها!.

فهل هذا معقول؟ وهل هذا أسلوب فى الكتابة يكتبه كاتب كبير تحت ستار أنه «مستقل» ؟ وإذا كان هذا هو رأى الوزير الفرنسى فى ذلك الوقت من الأزمة، قبل أن يتضح له ما إذا كان الرئيس الأميركى جادا فى مبادرته أو أنه كان غير جاد، فما معنى أن يختار هيكل هذا النص ليقدم به مبادرة الرئيس الأميركى، بعد أن انتهت الأزمة والحرب، وبعد أن ثبت أن الرئيس الأميركى كان جادا بالفعل، ولم يكن يقوم بمناورة للخداع والتضليل، بل بعد أن تمت المقابلة بالفعل بين طـارق عزيـز ووزير الخارجية الأميركيـة بيكـر؟

إن تفسير ما فعله هيكل يكمن فى مفهومه للمبادرة، الذى يتفق كل

الاتفاق مع مفهوم القيادة العراقية التى كانت تشك فى كل مبادرة لا تتيح للنظام العراقى الاستفادة من غزوه للكويت فى تحقيق مكاسب كانت قرارات مجلس الأمن تمنعه من تحقيقها، فلما جاءت المبادرة فى إطار قرارات مجلس الأمن، قدمها هيكل فى شكل «تخريب» وتشكيك فى جدية الرئيس الأميركى، واستفاد من النص ـ الذى فقد مدلوله بحكم تطور الأحداث ـ ليضع هذه الشكوك على لسان وزير الخارجية الفرنسى!

وكان واجبا على هيكل أن يبتعد كل البعد عن هذا النص، فإن الموقف الفرنسى لم يختلف كثيرا بعد ذلك عن الموقف الأميركى فى ضرورة تنفيذ قرارات مجلس الأمن بالكامل كشرط لعدم التدخل العسكرى، ولم يكن هيكل يجهل هذا التطور، بل إنه تعرض له فى كتابه، حيث ذكر أن المصالح المالية الفرنسية تحالفت مع المصالح العسكرية فى تغيير الموقف الذى اتخذته فرنسا منذ بداية الأزمة، وأن الدبلوماسية الفرنسية بدأت تقتنع بحتمية الحرب وبأن الذى يحق لهم الجلوس إلى موائد التسوية فى الشرق الأوسط هم بالضبط الذى يفتحون الطريق إليها فى ميدان المعركة، وأن الذين سيجلسون على مائدة تسوية أمور المنطقة هم المحاربون وليس المتفرجون، وأن الخليج فى السنوات القادمة سوف يدخل فى جيب واشنطن، ولابد لفرنسا أن تظل قادرة على الوصول إلى شيء منه (صـ ٥١٤ ـ ٥١٥).

وإذا كان هيكل يعرف جيدا أن الموقف الفرنسى قد تغير، فما معنى أن يصور لنا مبادرة الرئيس الأميركى بوش من منظور فرنسى قديم تغير ولم يعد له وجود؟ السبب هو أنه إذا كان الموقف الفرنسى قد تغير فى نظرته إلى مبادرة بوش، فإن نظرة الموقف العراقى لم تتغير! وهيكل ـ للأمانة ـ لا يتبع الموقف الفرنسى وإنما يتبع الموقف العراقى! وهذا الموقف العراقى يرى فى المبادرة

الأميركية تخريبا، ولايعتبر الرئيس الأميركى جادا فى مبادرته، لأن المبادرة الجادة الوحيدة فى نظره هى المبادرة التى تتخطى قرارات مجلس الأمن وتسمح للنظام العراقى بالاحتفاظ بثمرة غزوه للكويت!

وهذا الكلام ليس من عندى وإنما هو من عند هيكل ومن خلال رؤيته البعثية. فقد تجاهل تماما التعليق على الطريقة الاستفزازية التى استقبل بها الرئيس العراقى صدام حسين المبادرة الأمريكية، حين أظهر من العجرفة ما جعله يعتذر عن مقابلة وزير الخارجية الأميركية بيكر مدة ١٧ يوما ثمينة فى وقت تتأرجح فيه المنطقة بين الحرب والسلام، وفى وقت كان موقنا فيه بأن الولايات المتحدة تتحرش به ـ ووجد من الوقت ما يستقبل فيه محمد على كلاى وساسة آخرين سابقين لم يعودوا فى موقع التأثير على الأحداث أو الحرب القادمة.

نعم تجاهل هيكل التعليق على هذا الموقف الخطير من النظام العراقى، الذى يصور جيدا استهانة هذا النظام بقضية الحرب والسلام، ورفضه لأى مبادرة لا تحقق له أهدافه من غزو الكويت، وأخذ يصور لنا لقاء صدام وبيكر وطارق عزيز الشهير فى فندق الانتركونتنتال بجنيف يوم ٩ يناير ١٩٩١ فى شكل محاولة إرهاب وتخويف من جانب وزير الخارجية الأميركية بيكر للنظام العراقى، قابلها طارق عزيز بصلابة، وتحدى فيها الخطر! وقد قلب هيكل بذلك الآية رأسا على عقب، فوضع بيكر فى وضع المعتدى، والنظام العراقى فى وضع المعتدى عليه!

فوفقا لما أورده (صـ ٥١٥ ـ ٥٢٧) فإن بيكر قدم إلى طارق عزيز مظروفا لكى يسلمه إلى صدام حسين، طلب إليه قراءته، وفيه يقول بوش لصدام: «اننا نقف اليوم على حافة حرب بين العراق وبين بقية العالم، وهذه الحرب بدأت بقيامكم بغزو الكويت، وهى حرب يمكن أن تنتهى ـ فقط ـ

بانسحاب عراقى كامل، وغير مشروط، وفق قرار مجلس الأمن رقم ٦٧٨. وأنا أكتب الآن مباشرة لك لأننى حريص على ألا تضيع هذه الفرصة لتجنيب شعب العراق مصاعب معينة.. وهذه ليست سياسة الولايات المتحدة وحدها، وإنما هى موقف المجتمع الدولى كما يعبر عنه ما لا يقل عن ١٢ قرارا صادرا عن مجلس الأمن .. وهذا كله كاف ليؤكد لك أن القضية ليست العراق ضد الولايات المتحدة، ولكنها العراق ضد العالم».

ثم يستطرد بوش فيقول: «إن العراق بدأ فعلا يشعر بآثار العقوبات التى قررتها الأمم المتحدة، وإذا جاءت الحرب بعد العقوبات، فستكون تلك مأساة أكبر لك ولشعبك. ودعنى أنبهك إلى أن الولايات المتحدة لن تتسامح مع أى استخدام للأسلحة الكيماوية أو البيولوچية أو أى تدمير للمنشآت البترولية فى الكويت.

وفوق ذلك فانك سوف تعتبر مسئولا مسئولية مباشرة عن أى عمل إرهابى يوجه إلى دولة عضو فى التحالف.. إن قرار مجلس الأمن رقم ٦٧٨ يحدد فرصة لاختبار حسن النوايا، تنتهى يوم ١٥ يناير حتى تنتهى هذه الأزمة دون عنف. واستغلال هذه الفرصة للهدف الذى أتيحت من أجله لتجنب العنف هو خيار فى يدك، وفى يدك وحدك، وانى لآمل أن تزن خياراتك، وأن تنتقى منها بعقل، لأن كثيرا سوف يتوقف على ذلك».

وهنا يصور هيكل رد فعل طارق عزيز فى صورة المعتدى عليه الذى يدافع عن كرامة بلده، فيقول: إنه لم يكد يقرأ الرسالة حتى طواها وأعادها إلى المظروف وقال بهدوء: «اننى لا أستطيع أن أقبل هذه الرسالة، ولا أستطيع أن أنقلها لرئيسى، لأن اللهجة التى كتبت بها ليست مما يمكن أن يستعمل فى توجيه خطاب من رئيس دولة إلى رئيس دولة آخر»!

وعندئذ دار حوار أعطى فيه بيكر لطارق عزيز ـ كما يقول هيكل ـ صورة

دقيقة لقوات التحالف الموجودة أمام القوات العراقية. فتحدث عن قوات درع الصحراء ـ أو عاصفة الصحراء ـ وتناول القوات البحرية والجوية والبرية، وأضاف: وإننا نعرف أن لديكم مخزونا كبيرا من الأسلحة الكيماوية، ونحن ننصحكم ألا تستعملوه فى أى مرحلة، لأن ذلك سوف يستوجب من ناحيتنا ردا من نفس النوع غير التقليدى. ويعلق هيكل على ذلك فيقول: «إن بيكر عند هذا الحد «أحس ـ فيما يبدو ـ أنه تجاوز الحد فى صورة الهول الأكبر التى رسمها، فتوقف ليصب لنفسه كوب ماء يشربه» !

وهذا التعليق غريب! فلا يوجد مصدر تاريخى نقل عنه هيكل ما أحس به بيكر من أنه تجاوز الحد فى صورة «الهول الأكبر» الذى رسمه! ولا توجد وثيقة تتحدث عن إحساس بيكر الذى خالجه فى ذلك الحين على هذا النحو! وإنما هى تصورات هيكل يقحمها فى عرضه للقاء بيكر وطارق عزيز، ليعطى الإيحاء بأن اللقاء كان محاولة إرهاب وتخويف من دولة كبيرة معتدية لدولة صغيرة معتدى عليها! وليس محاولة من جانب الولايات المتحدة لتبصير الرئيس العراقى بما ينتظر بلده لو تشبث بغنيمته واستمر فى احتلال الكويت (وهو ما تحقق فعلا!) . ثم يرفع هيكل طارق عزيز إلى مقـام المناضلين الأفـذاذ الذين يرفضون الإرهاب والتخويف، فيقول إنه «سيطـر بالكامل على أعصابـه» ! وقال لبيكـر: إن الصورة التى رسمتها الآن لقـوات التحـالف ليست جديدة علينا، وليست فيها مفاجـأة بالنسبة لنا، فنحن نعرفها من قبل، ونفهم ما الذى تعنيه» !

وهذا الكلام من جانب هيكل عن «سيطرة طارق عزيز على أعصابه» هو مثل سابقه عن «احساس» بيكر بتجاوز الحد فى رسم صورة الهول الأكبر، فهو اجتهاد هيكل الشخصى الذى يسوقه لتصوير حرب الخليج فى صورة اعتداء من الولايات المتحدة على العراق، وليست حربا لتحرير الكويت من عدوان غاشم شنه

النظام العراقى عليها، وبمعنى آخر إنه لا توجد وثيقة تقول إن هذا السياسى سيطر على أعصابه أو خانته أعصابه، ولايوجد محضر جلسة مباحثات يتحدث عن مشاعر المتحدثين، وإنما يسجل فقط ما قالوه أو فعلوه.

ويعود هيكل فيكرر الموقف عند تناوله وزير الخارجية الأميركى «بيكر»، فيقول إن بيكر: «لم يكن لديه مانع من أن تطول الاجتماعات، حتى يعطى الانطباع للعالم بأنه بذل جهده فى مفاوضات جادة، ولكن عناد العراق حال دون وصولها إلى نتيجة»! فهو هنا يرسم أحاسيس بيكر متطوعا، وفقا للصورة التى يراها النظام العراقى وليس وفقا للصورة التى يراها الجانب الأميركى.

ثم يختم روايته للمقابلة الشهيرة برسم طارق عزيز فى صورة من يتحدى أكبر دولة فى العالم، فينقل عنه قوله لبيكر: «إننا سندافع عن بلادنا بكل قوة، وإن الشعب العراقى شعب شجاع، وإن الأمة العربية لن تقبل اخضاع شعبها فى العراق وكسر إرادته، لأن إرادته جزء من إرادتها»!.

فهل هذا معقول؟ لقداختفت من كتاب هيكل تماما صورة النظام العراق المعتدى الذى بطش بجارته الكويت بليل، وأراد تحويل شعبها إلى شعب من اللاجئين، ولم تبق سوى صورة النظام العراقى الصامد فى وجه الولايات المتحدة المعتدية، التى تمارس عليه الإرهاب وتسعى لتخويفه، ولكنه يقاوم ببسالة ويعلن بإباء وشمم أنه سوف يدافع عن بلاده، وأن الأمة العربية لن تقبل إخضاعه وكسر إرادته لأن إرادته جزء من إرادتها!. والكاتب المؤرخ الدكتور عبد العظيم رمضان يتوقف فى شهادته عند هذا السؤال:

والسؤال الآن: هل هذه الصورة هى التى عرفها شعبنا المصرى وعرفها المجتمع الدولى لحرب الخليج .. أو أنها الصورة نفسها التى عرفها النظام العراقى لهذه الحرب؟ ولكن هيكل يحاول فى كتابه أن يبيع هذه الصورة للشعب المصرى ويسوقها فى العالم!

الفصل السادس

هيكل

ضد هيكل

بداية جديدة ونقطة أخرى يناقشها الاستاذ الدكتور عبد العظيم رمضان في رده على هيكل: ربما كانت أهم نقاط الضعف في كتاب محمد حسنين هيكل عن حرب الخليج هي عجزه عن التدليل على النتائج التي صدر بها كتابه، بل وتناقض هذه الأدلة مع هذه النتائج. وهذا أمر يصعب تفسيره في ضوء قراءته البعثية لحرب الخليج، وهي قراءة من شأنها أن تقلب الأوضاع بالضرورة، ففي الوقت الذي كان المجتمع الدولي كله يقف ضد النظام العراقي ويدين احتلاله للكويت، كان النظام العراقي يدين المجتمع الدولي كله ويدين تدخله لتحرير الكويت ويصور هذا التدخل في صورة اعتداء على العراق !

ومن هنا جاء تصوير هيكل لهذه الحرب في صورة حرب بين الولايات المتحدة والعراق، سعت إليها الولايات المتحدة منذ البداية بسبب حاجتها إلى عدو جديد وخطر جديد بعد اختفاء الاتحاد السوفييتي، وحاجة رئيسها بوش إلى حرب جديدة تحفر اسمه في تاريخ شعبه، ومحاولته تصوير الرئيس بوش في صورة الفنان الذي رسم صورة الحرب وكان يضيف إليها بين الفينة والفينة لمسة ضوء هنا أو لمسة ظل هناك! (صـ٥٣٢).

على أن الأدلة التى ساقها لدعم هذا التصوير جاءت مناقضة له ومتعارضة مع خطوطه الأساسية. فقد رأينا آنفا كيف قام الرئيس الأميركى بمبادرة سلام بعد قرار مجلس الأمن رقم ٦٧٨ الذى أعطى العراق مهلة ستة أسابيع لتنفيذ القرارات التى أصدرها، أو يتعرض للهجوم العسكرى، وكيف أغضبت هذه المبادرة وزير خارجية فرنسا الذى اعتبرها محاولة من الرئيس الأميركى لإحتكار إدارة الأزمة.

ولو كان النظام العراقى قد قبل مبادرة بوش وانسحب من الكويت لجنب نفسه وبلده ويلات الحرب، ولكنه رفض المبادرة واعتبرها اعتداء على السيادة العراقية ومحاولة إرهاب وتخويف! وقد ساق هيكل هذه المبادرة على أنها «تخريب»، واستخدم فى ذلك تعليق وزير الخارجية الفرنسى.

ولم يلبث أن ساق دليلا آخراً ينقض الصورة التى رسمها لبوش. إذ يذكر أنه بعد أن حصل بوش على تصديق الكونجرس على تخويله صلاحية تنفيذ قرار مجلس الأمن رقم ٦٧٨ (أى شن الحرب) طلب فجأة من السكرتير العام للأمم المتحدة بيريز دى كويلار، أن يصحبه إلى كامب ديفيد، التى كان متجها إليها لقضاء عطلة نهاية الاسبوع،، لكى يتناول طعام العشاء معه، وعلى مائدة العشاء ـ كما يقول هيكل ـ «فوجىء دى كويلار ببوش يقول له إنه يريده أن يذهب إلي بغداد، ولو لساعات، يقابل فيها صدام حسين» !.

وحاول دى كويلار أن يعتذر عن المهمة بحجة أن الوقت تأخر، وأن العراقيين لن يأخذوا مهمته جديا، وأنه إذا كان لابد أن يذهب فهو يفضل أن يكون ذهابه ممثلا لمجلس الأمن، وهذا يتطلب دعوة المجلس، وأخيرا لأنه مقيد باجتماع فى أوروبا، ولابد أن يكون هناك يوم الإثنين ١٤ يناير.

على أن بوش ـ كما يقول هيكل ـ لم يقبل اعتذار دى كويلار، واعترض على دعوة مجلس الأمن بأن المجلس أصدر قراره، ودعوته مرة أخرى لإصدار

تحذير فى اللحظـة الأخيرة لا يحل شيئا وإنما قد يعطـل كل شيء. كذلك رفـض ما عرضه دى كويـلار من أن يبعث بممثل شخصى له، وأصر على أن يذهب دى كويـلار شخصيا «ولو ساعة واحـدة» ! «لأن ذهاب السكرتيـر العـام للأمم المتحـدة شخصيا، وفى الدقيقة الأخيـرة، سوف يجعل العـالم كله يحس بـ «دراما» الموقف.

والسؤال الآن: هل كان فى إصرار بوش على ذهاب السكرتير العام للأمم المتحدة فى مهمته السلامية ما يدفع هيكل إلى تصويره فى صورة المتحرق إلى الحرب ضد العراق ؟. ترى لو أن الرئيس العراقى استجاب فى اللحظة الأخيرة لتدخل السكرتير العام للأمم المتحدة، وأعلن استجابته لقرارات مجلس الأمن وانسحابه من الكويت، هل كانت تقـوم الحرب؟، وهل كـانت تبقى ذريعة للرئيس الأميركى لتنفيذ مخططه المزعوم للعدوان على العراق؟.

على أن المذهل أن هيكـل يسـوق هـذا التصـرف من الرئيس بـوش فى إطـار الصورة التى رسمها له وهى صورة المشتـاق للحرب، ويعتبر هـذا التصرف بمثابـة «لمسة ظـل» فى لوحة مسرح عمليات القتـال التى كـان بـوش قد فـرغ من رسمها!.

فهل هذا معقول؟ ولكن الأكثر غرابة هو أنه فى الوقت الذى يصور فيه هيكل بوش فى صـورة السـاعى إلى الحرب، يصـور صـدام حسين فى صـورة الساعى إلى السلام لولا إصرار الرئيس الأميركى بوش على الحرب! بل ويصوره فى صورة محببة، فعندما يطلب منه بيريز دى كويلار أن «يعطيه شيئا يبنى عليه موقفا يزيل التوتر ويحرم دعاة الحرب من فرصة يظنونها مواتية»، «يتذكر صدام حسين تقاليد الضيافة العربية ! ويسأل ضيفه: هل تريد أن تشرب فنجان قهوة عربى؟ إننى لا أشربها فى الليل لأنها تمنعنى من النوم!».

ثم يورد هيكل على لسان صدام حسين قوله لبيريز دى كويلار إنه كان يخشى مجيئه إلى بغداد فى هذه الظروف التى نسمع فيها قعقعة السلاح، «فعندما لا تحمل من عندنا ما يرضيهم، فإنهم قد يستعملون مجيئك ذريعة للحرب» ! ثم يزعم أنه قدم مبادرات كثيرة لحل الأزمة ولكن الرئيس الأميركى «كان يرفض كل واحدة منها بعد ساعة من صدورها» ! وعندما يرد عليه بيريز دى كويلار بأن القرارات التى صدرت ضد العراق إنما قرارات مجلس الأمن، يرد عليه صدام بقوله: «هذه قرارات أميركية، ونحن فى عصر أميركى، والولايات المتحدة تحصل على ماتريده هى وليس ما يريده مجلس الأمن !

وأخيرا يرفض الرئيس العراقى الانسحاب بحجة أنه إذا قال كلمة الانسحاب فى هذه اللحظة بينما الجيوش الأميركية تواجهنا، والحرب قد تقع فى ظرف ساعات، فلابد أن يكون فى مقابله شىء عن انسحاب أميركى، وإلا فإنه يكون قد أعطى للأميركان «فرصة لخلق بلبلة نفسية تمكنهم من الانتصار علينا» !

وحين يسمع بيريز هذا الكلام يشعر بأن مهمته قد فشلت فينهض واقفا وهو يقول: «إننى لم أخذ منكم شيئا» ! ويرد صدام حسين قائلا: «لو أنك راجعت حديثنا، وفكرت فيه، لوجدت أنك أخذت أشياء كثيرة» ! وهكذا يخرج القارىء بنفس الصورة التى أراد هيكل رسمها منذ البداية، صورة العراق الذى يسعى لتجنب الحرب، والذى يقدم مبادرات كثيرة، ويعطى أشياء كثيرة، ولكن اصرار الرئيس الأميركى على الحرب يفسد مساعيه للسلام !

وبطبيعة الحال فإن هيكل لا يورد فى كتابه تعليق بيريز دى كويلار على لقائه مع صدام حسين، عندما عاد إلى باريس واجتمع بوزير خارجية بلچيكا ممثل المجموعة الأوربية، وفى هذا التعليق يقول: «إن هذا الرجل مجنون، إنه مؤمن بأنه سوف يهزم أميركا ومن معها» ! ثم يقول إنه لم يلمس فى

صدام أية رغبة فى الانسحاب، ولا أمل من استمرار المحاولات معه.

وقد كان ذلك هو السبب الذى دعا المجموعة الأوربية ـ التى كانت قد أعلنت عن محاولة أخرى تقوم بها مع صدام بعد عودة السكرتير العام ـ إلى الإعلان فجأة عن إلغاء أية محاولة سلام أخرى.

على أن هيكل ـ من ناحية أخرى ـ يروى ما يشير إلى الدور الأردنى فى توريط العراق فى الحرب وعدم الانسحاب من الكويت، فيروى أن رئيس وزراء الأردن فى ذلك الحين، وهو مُضر بدران، راهن بمائة دينار على أن الحرب لن تقوم!

والمهم هو أن هيكل بعد كل ذلك يستبعد تماما فكرة تحرير الكويت من حرب الخليج ! ويقوم ـ بذلك ـ بمغالطة كبرى لصالح النظام العراقى، إذ ينسى أن النظام العراقى لو كان قد أعلن الانسحاب من الكويت لما قامت هذه الحرب، وفى هذه المغالطة يقول: «لقد كانت الحرب المسلحة خيارا مطروحا طول الوقت كملجأ أخير لحماية الكنز الأسطورى الذى يمثله البترول العربى.. وكان يقال دائما إن الكنز هو الذى يخلق التهديد الذى يتربص به، وأن التهديد المتربص هو الذى يصنع القوة التى تواجهه» ! ثم يسوق أكثر من ست صفحات كاملة من كتابه من (صـ٥٤٠ إلى صـ٥٤٦) للتدليل على أن الاستعدادات العسكرية الأميركية فى المنطقة بدأت منذ اللحظة التى تمكنت بها الولايات المتحدة من امتيازات بترول السعودية ! وأنه «فى الشهور الأولى من سنة ١٩٩٠، وحتى قبل أن تبدأ أزمة الخليج فى ٢ أغسطس، كانت القوات تحت احساس مبهم بأن مجال عملها القادم قد يكون فى الشرق الأوسط، بل يذكر أنه القوات الجوية قامت فى شهر يوليو ١٩٩٠ بتدريب عملى لردع هجوم قامت به إحدى دول جنوب غرب آسيا، وقد سميت هذه الدولة فى التدريبات بأنها العراق!».

وفي هذا الصدد يخلط هيكل بين حرب الخليج والاستعدادات التي تتخذها دولة عظمى مثل الولايات المتحدة لحماية مصالح حيوية خطيرة لها في المنطقة تتمثل في البترول. إذ لا توجد أية علاقة بين هذه الحرب وتلك الاستعدادات التي استمرت منذ الحرب العالمية الثانية. فلم يكن في علم الولايات المتحدة في ذلك الحين أن صدام حسين سوف يقوم بغزو الكويت، وأكثر من ذلك أنه لا أحد كان يتصور أن هذا الدكتاتور العراقي سوف يقبل الزج ببلده في حرب ضد ثلاثين دولة وعلى رأسها الدول الكبرى! كما أن مسألة الحرب والسلام في أزمة الخليج لم تكن أبدا في يد الولايات المتحدة ولا غيرها من الدول الكبرى، إنما كانت في يد صدام حسين وحده، فإذا أعلن الانسحاب من الكويت وعمل على تنفيذه، أخمد فكرة الحرب في الحال. وهذا بالذات ما سعى إليه بيريز دى كويلار في لقائه السالف الذكر مع صدام حسين، فقد رجاه أن «يعطيه شيئا يبنى عليه موقفا يحرم دعاة الحرب من فرصة يظنونها مواتية» ـ ولكن صدام حسين رفض إعطاءه كلمة الانسحاب!

ومعنى ذلك في وضوح أن حرب الخليج هي مسألة عراقية بحتة، وليست مسألة أميركية بحتة كما يحاول أن يصورها هيكل.

وبطبيعة الحال فإن إصرار هيكل على هذا التصوير لحرب الخليج أوقعه في أخطاء قاتلة، أولها إغفال الدور العربي في الخليج والتهوين من شأنه إلى حد مهين، فهو يتحدث عن هذا الدور بوصفه «الجزء العربي من تركيبة التحالف» التي شكلها الرئيس الأميركي بوش! (أنظر صـ ٥٣٠) وهو ينقل على لسان طارق عزيز ما يشير إلى أن القوات العربية في قوات التحالف إنما هي قوات عميلة للولايات المتحدة، وليست قوات تحرير للكويت !

ففي لقاء طارق عزيز ببيكر في جنيف، الذي أشرنا إليه، يوم

٩ يناير ١٩٩١، حين يقول له بيكر: «إنى أريد أن تعرفوا أن أمامكم تحالفا دوليا وعربيا قويا فى مواجهتكم»، يقاطعه طارق عزيز قائلا: «إننى أفضل أن تحصر كلامك فى التحالف الدولى! أما الأطراف العربية المشتركة فيه، فأنت تعرف كيف جئتم بها إلى صفوفه! وهنا يرد عليه بيكر بضرورة أن يصحح معلوماته فى هذه النقطة، «فأنتم الذين كنتم تقولون عنهم إنهم إخوة لكم»..

ويرد طارق عزيز قائلا: إننا نعرف من هم اخوتنا !» ويرد عليه بيكر بقوله: «إنكم قمتم باحتلال أرض واحد من هؤلاء الأخوة، وخدعتم أخا ثانيا (يقصد الرئيس مبارك)، وتسببتم بذلك فى صراع كبير، وإن مستقبل العراق ــ إذا حدث ما نخشاه ولم تمتثلوا لقرارات مجلس الأمن ــ لن يكون فى يد الحكومة التى تمثلها.

ويرد عليه طارق عزيز: «إن أصدقاءكم فى العالم العربى ممن تعاونوا معكم ضد العراق هم الذين لا مستقبل لهم! فشعوبهم سوف تتصدى لهم» !

«ويرد بيكر: ألم تكذبوا على مبارك؟ ويرد طارق عزيز فيزعم أن صدام حسين فى لقائه بالرئيس مبارك فى بغداد يوم ٢٤ يوليو إنما تعهد بعدم استعمال القوة حتى تبدأ المفاوضات بين ولى العهد الكويتى ونائب رئيس مجلس قيادة الثورة العراقى وتظهر النتيجة، وأنه قال لمبارك: «إن كل واحد بعدها سوف يدافع عن حقه». وأنه فى كل الأحوال لم يكن الرئيس مبارك مكلفا بأن ينقل رسائل من الرئيس صدام حسين إلى أحد! وأنه إذا أراد أن ينقل فقد كان عليه أن يستوثق» !

ويؤثر هيكل هنا أن يقف موقف الحياد بين الروايتين! ففى صفحة ٣٢٨ و٣٢٩ يقول إن لقاء مبارك بصدام حسين كان لقاء مغلقا اقتصر على الرئيسين، وفى مثل هذه اللقاءات المغلقة فإن ما يجرى فيها لا يشهد عليه إلا أصحابه، وقد

فهم الرئيس مبارك من الرئيس صدام حسين أنه لا ينوى استخدام القوة ضد الكويت، وفهم الرئيس صدام أنه قال للرئيس مبارك إنه لا ينوى استخدام القوة مادامت المفاوضات جارية، ولم يكن هناك شهود، ولا كان هناك محضر للجلسة!».

ومعنى هذا الكلام أن هيكل لا يستطيع أن يرجح برأيا، بينما هو يسوق كتابه كله مرجحا رأى النظام العراقى! ولم يكن ترجيح الرأى فى هذه القضية بالأمر الصعب، فلم يكد يغادر الرئيس مبارك العراق حتى كان النظام العراقى يكذب فى شأن هذه الزيارة، فيصدر طارق عزيز تصريحا صحفيا كاذبا يزعم فيه أن «زيارة الرئيس مبارك لبغداد واجتماعه بالرئيس صدام حسين كانت لبحث قضايا ثنائية فى العلاقات بين البلدين، ولم تكن عن أزمة الخليج كما روجت الأنباء السابقة» !.. وقد أورد هيكل بنفسه هذا التصريح الكاذب.

وإذا لم تكن هذه الزيارة لبحث أزمة الخليج، فما الذى دفع مبارك إلى زيارة بغداد فى هذا الوقت من الأزمة بالذات؟ ثم إن هيكل نفسه يورد مشهد لقاء الرئيسين المصرى والعراقى بعد انتهاء الجلسة المغلقة، وفيها ما يدمغ النظام العراقى بالكذب.

فقد أورد أن صدام حسين وقف أمام المرافقين والصحفيين يقول لمبارك ضاحكا: «بالله عليك لا تطمئنهم يا أبو علاء! هؤلاء ناس لا يعرفون الحياء! وهذا الرجل: الشيخ جابر لديه مال قارون وهو يكنزه ولايصرفه على شعبه ! فلديه ثروة مقدارها ١٧ بليون دولار ! ثم يوجه حديثه إلى الصحفيين المصريين المرافقين لمبارك قائلا فى لهجة تحريضية «لو أن هذا المبلغ كان تحت تصرف الشعب المصرى، كم من الأزمات الخانقة كان يمكن حلها ؟.

وإذا كانت زيارة مبارك لا صلة لها بأزمة الخليج، فما الذى دفع صدام

حسين إلى الكلام عن الشيخ جابر أمير الكويت بعد اللقاء المغلق ؟ وإذا كان حديث صدام حسين عن الشيخ جابر يوضح فى جلاء أن الزيارة كانت لبحث أزمة الخليج، فلماذا كذب طارق عزيز وصرح للصحفيين بأن الزيارة لم تكن عن أزمة الخليج؟ ألا يكفى ذلك لمساعدة هيكل على ترجيح رأى مبارك ؟

أم أن محاولة ترجيح رأى على آخر لا تخدم أهداف كتاب هيكل، فهو يترك قارئه محتارا بين الرأيين، ويترك مزاعم طارق عزيز فى لقائه مع بيكر بدون مناقشة؟!

وأليس غريبا أن هذا الموقف الحيادى لهيكل بين روايتى مبارك وصدام حسين، هو نفس الموقف الحيادى الذى وقفه بين روايتى مبارك والملك حسين عن لقائهما فى رأس التين يوم ٢ أغسطس ــ وقد سبق لنا أن ناقشنا الروايتين، وأثبتنا تضليل الملك حسين على نحو ما أثبتنا الآن تضليل النظام العراقى عن زيارة مبارك لبغداد يوم ٢٤ يوليو.

ويتعجب الدكتور عبد العظيم رمضان من هذا التناقض حيث يقول:

ــ إن هيكل أحد أبرز رجال الرأى المعدودين فى مصر والعالم العربى، فلماذا يسخو برأيه عندما يكون هذا الرأى معبرا عن النظام العراقى، ويبخل بهذا الرأى عندما يكون لصالح النظام المصرى؟ ولماذا يختفى الدور المصرى فى كتابه فى الظل منزويا فى داخل الخطة الأميركية لفرض الحرب على العراق، بينما يبرز الدور العراقى ويصوره فى صورة الإرادة الصلبة التى لا تنكسر، والإلتحام بالأمة العربية؟ أليست هذه الصورة التاريخية لحرب الخليج التى يرسمها هيكل هى أكثر الصور تزييفا فى التاريخ؟

الفصـــل السابــع

هــل كانت حــرب الخليــج

حــربــا غيــر شــرعيــة ؟

ولعل أخطر ماأثاره الكاتب الكبير الدكتور رمضان فى هذا الرد قوله: ـ

ذكرنا فيما سبق كيف تجاهل هيكل فى كتابه «حرب الخليج، أوهام القوة والنصر» كل الفظائع والمنكرات التى ارتكبها جيش الاحتلال العراقى فى الكويت، والتى اختتمها بجريمة منكرة ضد الثروة العربية والبيئة تتمثل فى إشعال النار فى نحو ٦٣٠ بئرا للبترول، وكيف ركز اهتمامه فى تتبع ما اعتبره مؤامرات الولايات المتحدة ضد العراق منذ اللحظة الأولى، وسيطرتها على مجلس الأمن لاستصدار القرارات ضد العراق بشكل سريع ومتوال لدرجة أدهشت السكرتير العام للأمم المتحدة نفسه! وبذلك حول هيكل ـ بكل مهارة ـ حرب الخليج من حرب لتحرير الكويت إلى حرب عدوانية شنتها الولايات المتحدة ضد العراق!

وفى سبيل تأكيد هذه الصورة، نسى هيكل حذره، ووقع فى خطأ جسيم حين أخذ يصور حرب الخليج فى صورة حرب غير شرعية شنتها قوات غير شرعية بقيادة الولايات المتحدة ضد العراق!

وقد بدأ هذه المحاولة حين أخذ فى كتابه (صـ ٣٢ ـ٣٣) ينزع من قوات التحالف الدولى صفتها الشرعية، ويصورها فى صورة قوات مخالفة

لميثاق الأمم المتحدة تحت قيادة أميركية! وساق ذلك في ذكاء على لسان سكرتير عام الأمم المتحدة «بيريز دى كويلار» ـ ولكن على طريقة «ولا تقربوا الصلاة».

فقد أورد أن دى كويلار وجد نفسه مضطرا، «بطريقته الهادئة والمترددة مرات، الساخرة أحيانا» أن ينبه أن قوات التحالف التى صدر لها التفويض عن مجلس الأمن رقم ٦٧٨ فى ٢٩ نوفمبر باستعمال القوة، ليست بالضبط قوات تابعة للأمم المتحدة! وأنه ـ أى السكرتير العام ـ خشى من التفسيرات الواسعة لهذا القرار «الذى ليست له سابقة»، كما خشى من «عواقب هذه التفسيرات على نظام الأمم المتحدة»، فأضاف «باشارة وابتسامة» «إنه ليس فى علمه أن الجنرال نورمان شوارتزكوف يرتدى فوق رأسه واحدا من البريهات الزرقاء «الخاصة بقوات الأمم المتحدة»!

وهكذا صور هيكل قوات التحالف الدولى التى احتشدت لتحرير الكويت من الاحتلال العراقى فى صورة قوات لا سند لها من ميثاق الأمم المتحدة، يقودها قائد أميركى لا يتبع الأمم المتحدة!

وحتى يبيع هذه الصورة للقارىء، حشد هيكل تحليلاته الشخصية التى تصورت تصريحات السكرتير العام للأمم المتحدة فى شكل انطلاق من «خشيتة من عواقب التفسيرات الواسعة لقرار مجلس الأمن رقم ٦٧٨ على نظام الأمم المتحدة!» ـ وهى تصورات لا سند لها ـ كما هو واضح ـ من وثيقة يتحدث فيها دى كويلار عن خشيته على نظام الأمم المتحدة، و«عواقب» هذه التفسيرات على هذا النظام!.

وبطبيعة الحال فإن أحدا لا يستطيع أن يشارك هيكل فى هذا التحليل غير

صدام حسين نفسه وأعضاء قيادة حزب البعث العراقى! وعلى سبيل المثال فإن الكويت لا يمكن أن تشاركه فى هذه النظرة إلى القرار رقم ٦٧٨، ولا يمكن أن تتصور له «عواقب» ـ بكل ما تحمله هذه الكلمة من معنى الأضرار والأخطار! ـ لأنه قرار زود قوات التحالف الدولى بالشرعية الدولية للقيام بعملياتها العسكرية لتحرير الكويت. ولكن هيكل ينظر إلى القرار من الموقع العراقى الذى أدرك «عواقب» هذا القرار عليه وعلى احتلاله الكويت! أما بيريز دى كولار فهو خارج عن لعبة التحليل التى يلعبها هيكل لهذا القرار، وسوف نورد فيما بعد تفسيره الرسمى المجرد لهذا القرار.

وعلى كل حال فقد كشف هيكل موقعه العراقى فى تحليل هذا القرار، حين أخذ يخصص عدة صفحات من كتابه ـ بدون مبرر ـ لإيراد الآراء الفقهية القانونية التى تندد بهذا القرار. فنقل عن الدكتور عدنان الباجهجى، الذى وصفه بأنه «من خيرة العقول القانونية فى الوطن العربى، وكان وزيرا سابقا للخارجية فى العراق، أن القرار مخالف لميثاق الأمم المتحدة، لأن التدخل العسكرى وفقا للميثاق يكون بعد ثبات فشل العقوبات الاقتصادية التى اختارها مجلس الأمن أولا، ولما كان القرار رقم ٦٧٨ قد أشار فقط إلى العقوبات ولم يتحدث عن فشلها، فإنه يكون مخالفا! وفى الوقت نفسه فإنه لو تقرر استخدام القوة المسلحة فإن مجلس الأمن وحده هو الذى يملك الحق فى استعمالها وتحت قيادة الأمم المتحدة وعلمها ـ كما حدث فى كوريا ـ ولكن مجلس الأمن لا يملك الحق فى تفويض بعض أعضاء الأمم المتحدة فى استعمال القوة المسلحة على مسئوليتهم الخاصة لتنفيذ قراراته!

كذلك نقل هيكل عن الدكتورة عائشة راتب، أستاذ القانون الدولى، أنه إذا كان نص القرار ٦٧٨ يبيح استعمال القوة لتحرير الكويت، فإنه لا يبيح

إعلان الحرب على دولة العراق! وأن نص القرار يتضمن تخليا من مجلس الأمن عن مسئولياته ويحيل المسئولية إلى غيره! وأنه إذا جاز للمجلس أن يكلف بعض أعضاء الأمم المتحدة بتحرير الكويت، فإنه لا يجوز له تكليف غيره بتحقيق السلام والأمن الدوليين!

على أن الأهم من كل ذلك ـ وهو بيت القصيد ـ ما أورده هيكل من رد فعل النظام العراقى للقرار، فيقول: «إنه أحدث هزة عنيفة فى بغداد»، وإن بغداد كانت ـ بواسطة خبرائها القانونيين ـ على علم بأوجه الخلل فى القرار ٦٧٨، وقد أعد فريق من الخبراء، على رأسه الدكتور سعدون حمادى، دراسة توصلت إلى أن القرار مخالف لميثاق الأمم المتحدة، وكان من رأى بعض القانونيين أنه يمكن الطعن فى شرعية هذا القرار أمام محكمة العدل الدولية، وبذلك يصعب على الولايات المتحدة بدء الأعمال العسكرية قبل صدور قرار المحكمة! (صـ ٥٠١ ـ ٥٠٢).

وقد اهتم هيكل بإبراز هذا الجدل الفقهى القانونى العقيم حول عدم شرعية قوات التحرير الدولية ـ التى اشتركت فيها ثلاثون دولة! ـ فى الوقت الذى لم يخصص صفحة واحدة للحديث عن قضية شرعية القوات العراقية التى كانت فى ذلك الحين تحتل الكويت!، والتى كانت تدوس بقدمها ميثاق الأمم المتحدة ومبادىء القانون الدولى وميثاق جامعة الدول العربية، وكل الأعراف والتقاليد الدولية! كما لم يعلق بحرف واحد على فتوى الدكتورة عائشة راتب التى أفتت بأن القرار رقم ٦٧٨ لا يبيح إعلان الحرب على دولة العراق، وإنما يتعلق فقط بتحرير الكويت! ونسيت أن العراق كانت هى التى تحتل الكويت وليست جمهورية الصين الشعبية! وأن تحرير الكويت لا يمكن أن يتم عن طريق إعلان الحرب على الصين الشعبية، وإنما عن

طريق إعلان الحرب على الدولة المحتلة وهى العراق!

والمهم هو أن هيكل قد ساق كل هذه المناقشات القانونية العجيبة ليصل إلى هذه الصورة التى أراد أن يرسمها لحرب الخليج، وهى أنها حرب غير شرعية شنتها قوات غير شرعية لا تتبع الأمم المتحدة ولاتتمتع بالحصانة الكاملة التى يكفلها ميثاق المنظمة لقوات الأمم المتحدة! وأن الولايات المتحدة هى التى «راحت تبذل قصارى جهدها الإعلامى لكى يحدث الخلط ويستقر فى فكر العالم أن قوات التحالف هى قوات للأمم المتحدة تتمتع بالشرعية والحصانة الكاملة التى يكفلها ميثاق المنظمة الدولية، وراحت وسائل الاعلام الأميركى كلها تستعمل كل كفاءاتها لتصوير قوات التحالف على أنها هى قوات الأمم المتحدة ذاتها».

وعلى هذا النحو أصبحت القوات المصرية بدورها، وهى التى اشتركت مع قوات التحالف الدولى فى تحرير الكويت، قوات غير شرعية أيضا! ولا تتمتع بالحصانة الكاملة التى يكفلها ميثاق المنظمة لقوات الأمم المتحدة.

وبذلك نصل إلى هذه المفارقة الطريفة التى يقدمها هيكل فى كتابه: فقوات الاحتلال العراقية فى الكويت يسوق لها الاعذار والمبررات التاريخية والسياسية، سواء من ناحية تبعية الكويت المزعومة لولاية البصرة واعتبارها ـ بالتالى ـ أرضا عراقية! أو من ناحية تصرفات السياسة الكويتية الاقتصادية التى وصفها بأنها سياسة أنانية لا تراعى فيها مصالح العراق الذى حارب إيران لحماية الخليج! أما قوات التحالف الدولية التى قامت بتحرير الكويت من الاحتلال العراقى فهى قوات غير شرعية لأنها ليست ـ بالضبط ـ قوات تابعة للأمم المتحدة! فهل هذا معقول؟ وهل هناك تزييف لحرب الخليج أكثر من هذا التزييف؟

ومن هنا فلعله من حق القارىء أن يعرف فحوى القرار رقم ٦٧٨ الذى دفع القيادة العراقية ـ وهيكل بالتبعية ـ إلى تجريد قوات التحالف الدولى التى حررت

الكويت من شرعيتها وحصانتها ـ وهو القرار الذى صدر من مجلس الأمن لا من الحكومة الأميركية!

لقد أورد القرار ـ بعد الديباجة ـ أن مجلس الأمن يلاحظ أنه رغم كل الجهود التى بذلتها الأمم المتحدة، فإن العراق لم يمتثل لمسئوليته لتنفيذ القرار رقم ٦٦٠ والقرارات الأخرى اللاحقة له، مما يمثل استهانة بمجلس الأمن. وأن المجلس إذ يستذكر واجباته ومسئولياته طبقا لميثاق الأمم المتحدة عن صيانة وحفظ السلام الدولى والأمن، واتساقا كاملا مع سابق قراراته، وتحت الفصل الرابع من الميثاق، يطلب من العراق، أن يمتثل بالكامل للقرار رقم ٦٦٠ وكل القرارات اللاحقة له، ويخول الدول الأعضاء فى التعاون مع حكومة الكويت ـ مالم يمتثل العراق لكل القرارات السابق الإشارة إليها قبل ١٥ يناير ١٩٩١ـ فى استعمال كل الوسائل الضرورية لضمان تنفيذ القرار رقم ٦٦٠ وبقية القرارات المتصلة به، وذلك لحفظ السلام الدولى والأمن فى المنطقة، ويطلب إلى كل الدول أن تقدم الدعم المناسب للأعمال التى يمكن القيام بها لتنفيذ البند الثانى من هذا القرار. كما يطلب إلى الدول المعنية أن تخطر مجلس الأمن بانتظام عن تقدم الأعمال التى تقوم بها تنفيذا للقرار الحالى، ويقرر أن يبقى المجلس فى حالة انعقاد بسبب هذا الموضوع. وكثيرا ما يحاول الدكتور المؤرخ عبد العظيم رمضان أن يشرك القارىء فى بعض ما يكتبه فى هذا الأتجاه.. فتراه يقول:

فهل يرى القارىء فى هذا القرار الصادر من مجلس الأمن بتخويل دول التحالف تنفيذ قراراته التى استهان النظام العراقى بتنفيذها، ما رآه القانونيون المتحذلقون مما يجرد قوات التحالف من شرعيتها؟ أم يرى فيها ما يتسق مع القرارات السابقة التى أصدرها مجلس الأمن بانسحاب القوات العراقية من الكويت؟

الطريف فى كل ذلك أن سكرتير عام الأمم المتحدة قد أوضح ـ ببساطة ـ

فى تقريره السنوى عن عام ١٩٩١ المبررات التى أدت إلى تخويل مجلس الأمن استعمال القوة لبعض الدول التى نشأ بينها ما عرف بإسم التحالف الدولى، فأوضح أنه «فى الظروف التى كانت قائمة، وبحساب التكاليف التى كانت مطلوبة، فإن مثل هذا الوضع لم يكن ممكنا تجنبه». وقد أورد هيكل بنفسه هذا النص، وعلق عليه تعليقا ذكيا بقوله: «إن مؤدى كلام السكرتير العام فى تقريره السنوى، أن قرار مجلس الأمن الذى ترتبت عليه عاصفة الصحراء، ليس بالضبط قانونيا، ولكنه بالواقع كان ضروريا» (صـ ٥٠١).

على أن هيكل، من رؤيته البعثية الصدامية لعاصفة الصحراء، رفض هذا التبرير بقوله: «إن هذه القاعدة فى توصيف الشرعية الدولية تحتاج إلى مراجعة وتدقيق»! أى أنه كان يرى أن تقف هذه القضية عقبة فى سبيل استصدار قرار مجلس الأمن رقم ٦٧٨، وبذلك تبقى قوات التحالف الدولى عاجزة عن التحرك، وتبقى الكويت فى قبضة الاحتلال العراقى؟

وقد نسى هيكل بذلك أن الضرورة تبيح المحظور حتى فيما حرمه الله بصورة قطعية فى كتابه الكريم، فما باله برفض هذه القاعدة ـ قاعدة الضرورة ـ فى توصيف الشرعية الدولية التى هى من صنع البشر؟

السبب هو أن النظام العراقى كان فى ذلك الحين يبنى حساباته فى رفض الانسحاب من الكويت على هذه العقبة الفقهية القانونية بالذات! ويتصور أن المجتمع الدولى ممثلا فى مجلس الأمن سوف يقف مشلولا أمام هذه القضية، وسوف تبقى قوات التحالف الدولى ـ لذلك ـ عاجزة عن تحرير الكويت! وهذا هو السبب فيما أورده هيكل من شدة رد فعل صدور القرار رقم ٦٧٨ فى القيادة العراقية.

فيقول: إن صدور هذا القرار «أحدث هزة عنيفة فى بغداد»! فقد كانت العاصمة العراقية قادرة أن تتصور تدخلا عسكريا أميركيا تسكت عنه الأمم المتحدة، ولكنها لم تتصور أن يجيء هذا التدخل بموافقة صريحة من الاتحاد السوفييتى الذى أيد مشروع القرار، وبموافقة ضمنية من الصين التى امتنعت عن التصويت عليه، وكان اعتراضها ـ بوصفها من الأعضاء الخمسة الدائمين فى مجلس الأمن الذين يملكون حق الفيتو، كفيلا بإسقاطه!».

ومن هنا كان حرص هيكل فى كتابه على إدانة هذا القرار تاريخيا! وعلى سحب الشرعية الدولية من قوات التحالف الدولى! وسحب الشرعية الدولية أيضا من عاصفة الصحراء وحرب الخليج! والإلحاح على أن هذه القوات لم تكن قوات تابعة ـ بالضبط ـ للأمم المتحدة، وأن الجنرال نورمان شوارتزكوف إنما هو مجرد قائد أميركى بدليل أنه لم يكن يرتدى فوق رأسه «البيريه الأزرق» الذى ترتديه قوات الأمم المتحدة»!

وكل ذلك لخدمة وجهة النظر العراقية، التى كانت ترى الأمور من منظور مقلوب وهى واقفة على رأسها والعالم واقف على قدميه!، فقد كانت ترى فى حرب الخليج حربا غير شرعية خاضتها قوات غير شرعية ضد العراق، وترى فى قوات الاحتلال فى الكويت قوات شرعية لأنها قوات تحرير استردت قطعة من التراب الوطنى كان تابعا لولاية البصرة وفصلته عن العراق أيدى بريطانيا!

ومن حق هيكل أن يعتقد ما يشاء مما تراه القيادة العراقية، ولكن من واجبه احترام عقل القارىء الذى ينظر إليه نظرة تقدير واحترام، فلا يدافع دفاع المستميت عن باطل كان رجل الشارع المصرى البسيط يدركه فى صورته الصحيحة منذ البداية.

لقد كان احتلال العراق للكويت باطلا بطلانا يفقأ كل عين، وكان انتهاكا لميثاق الأمم المتحدة والقانون الدولى وميثاق جامعة الدول العربية وكل الأعراف الدولية، وبالتالى فإن أية قوات عسكرية تقوم بتحرير الكويت من هذا الاحتلال الآثم هى قوات شرعية بدون ريب، وأية حرب يخوضها المجتمع الدولى ضد العراق لتحرير الكويت هى حرب شرعية لا شبهة فيها، وذلك هو التوصيف الصحيح للشرعية الدولية.

ومن هنا فإذا اعتمد هيكل على الرأى القانونى الذى أدلى به عدنان الباجهجى الذى يشترط لشرعية التدخل العسكرى إعلان مجلس الأمن فشل العقوبات الاقتصادية أولا، فإنه ينطلق فى ذلك مما كانت تتمناه القيادة العراقية من استدامة احتلالها للكويت عامين أو أكثر ـ وفقا لقدرة الدول الصديقة، وعلى رأسها الأردن، على تمكين العراق من مواجهة هذه العقوبات والتغلب على آثارها! ـ تكون فيها القيادة العراقية قد تمكنت من طرد معظم الكويتيين من الكويت، وتغيير التركيب الاجتماعى لشعب الكويت بإحلال العراقيين محل الكويتيين، وزيادة عدد الفلسطينيين بالدرجة التى لا تخل بالتفوق العراقى، ومكافأة الدول الصديقة عن طريق احلال اليمنيين والسودانيين والتونسيين محل المصريين.

وعندما يتبين مجلس الأمن أن العقوبات الاقتصادية قد فشلت ويقرر استخدام القوة العسكرية، تكون الكويت قد تحولت كلية إلى كويت أخرى غير التى اجتاحتها القوات العراقية فى ليلة ٢ أغسطس ١٩٩٠! ـ أى تكون قد تحولت من الناحية الفعلية إلى المحافظة العراقية رقم ١٩، بعد أن كان هذا التحول الذى أعلنته القيادة العراقية يوم ٨ أغسطس ١٩٩٠ تحولا فى الشكل ولا المضمون!

هيكل حول الأبطال إلى كومبارس

وربما كان أقرب ما يكون إلى العقل عندما يقرأ المرء كتابا يكتبه مصرى عن حرب اشترك فيها الجيش المصرى مثل حرب الخليج، أن يخصص هذا الكاتب صفحات من كتابه يتحدث فيها عن دور هذا الجيش فى تلك الحرب، خصوصا إذا كان هذا الدور مشرفا شهد به أعظم قادة هذه الحرب التى اشتركت فيها جيوش ثلاثين دولة، وخصوصا أيضا إذا كان هذا الدور يتطلب شجاعة من نوع خاص بعد دعايات النظام العراقى السوداء عن الموانع الخطيرة التى أعدت على مدى ستة أشهر طويلة من بدء الاحتلال لكى تنسف وتدمر كل من يجرؤ على الاقتراب منها.

لذلك فإنها تعد مفاجأة حقيقية أن يتحدث هيكل عن كل شىء إلا عن هذا الجيش الذى استبعده تماما من حرب الخليج، كأنه وهم من الأوهام وليس حقيقة واقعة فرضت نفسها بدماء الشهداء. وفيما يبدو أن هيكل شعر بأنه مطالب بتقديم توضيح لهذا الإغفال المتعمد لدور الجيش المصرى، ففى حديثه الذى نشر بمجلة المصور يوم ٨ مايو ١٩٩٢، سئل عن أسباب «تهميشه الدور المصرى»، فقال: «إذا كنت تتحدث عن الجانب العسكرى، فقد تجنبت الحديث فيه.

هذا ما قاله هيكل حرفيا، ونشر بمجلة المصور ولم ينكره. ولما كانت حرب الخليج قد اشتركت فيها قوات برية وصل عددها إلى نصف مليون جندى، فقد كان عليه أن يفسر هذا التناقض بين قوله السابق وهذه الحقيقة الدامغة، وقد فسره تفسيرا غريبا، فقال بالحرف الواحد: «تم وضع قوات برية وذلك إذا حدث

أى تطور مفاجىء (!) أولا: تمنع العراقيين من الدخول والقيام بمعركة داخل السعودية كنوع من الهروب من ضرب العراق (!) لقد تم عمل درع، الصحراء ونفذ بالكامل، أما عاصفة الصحراء فلم ينفذ منها إلا الشق الجوى (!) .. لا شيء إلا الحرب الجوية، الحرب الجوية بدأت من يوم ١٦ فبراير حتى يوم٢٤ ، والحرب البرية لم يحدث فيها شيء (!) .

هكذا بكل بساطة لخص هيكل حرب الخليج، وهكذا ـ بكل بساطة تجرأ على الحقائق التاريخية لمجرد تجنب الحديث عن دور القوات المصرية فى كتابه، لأن هذا الدور ينتمى إلى الحرب البرية، وهى حرب «لم يحدث فيها شيء» ! ـ حسب قوله ـ ولأن حرب الخليج ـ كما قال ـ «أكدت أنه لم يعد من الضرورى أن تحتل الأرض» !.

لقد فوجىء العالم العربى ـ الذى لم يشهد للنظام العراقى أى دور مؤثر فى الصراع العربى الإسرائيلى ـ بوجود قوة جبارة للعراق لم يكن يعلم من قبل بوجودها! وقد صورها هيكل بنفسه فى كتابه فى صورة: قوة غير تقليدية تتمثل فى قوته الصاروخية وأسلحته الكيماوية التى «ركز العراق عليها»ـ على حد قوله! (ص ٥٥٠) ، وقوة تقليدية تتمثل فى أكثر من خمسين فرقة مدرعة وميكانيكية للمشاة حشدها فى الميدان، بالاضافة إلى قوة جوية ضخمة كانت تتكون من قرابة سبعمائة طائرة، وسلاح صواريخ يرتكز على قرابة أربعمائة منصة للاطلاق، وقد أقام أمام قواته حواجز وموانع ملأ بعضها بالترول بحيث يمكن تحويلها إلى خطوط نار عند اللحظة المناسبة ليكون منها خط دفاع أول.

وقد أنشأ حول مواقعه وأهدافه الحيوية شبكة من الدفاعات استعمل فيها قرابة عشرة آلاف مدفع مضاد للطائرات، ومع تسليم النظام العراقى بوجود فجوة تكنولوجية بين أسلحته وأسلحة جيوش التحالف (التى يطلق عليها هيكل دائما

اسم «الجيش الأميركى» من منظوره البعثى!) إلا أنه كان يعتقد أن هذه الفجوة سوف تقل عندما تبدأ الحرب البرية التى كان يقدر لها أن تطول وتطول، وتتضاعف معها الخسائر فى أرواح القوات الاميركية، «فتعيد إلى الوطن الأميركى أشلاء جنوده فى أكياس من البلاستيك»، فيثور الرأى العام الأميركى ويضغط على الرئيس الأميركى «لقبول حل وسط»! ـ حسب تعبير هيكل، ويقصد به تحقيق أهداف صدام كاملة فى الكويت!

فكيف ـ إذن ـ كان هيكل يتصور ـ إلا إذا كان ينظر إلى المسألة من منظور القيادة العراقى! ـ إن العالم الغربى المتقدم الذى حشد الجيوش لإجبار النظام العراقى على تنفيذ قرارات مجلس الأمن، سوف تبلغ به السذاجة حد الرقص على طبول النظام العراقى، والاذعان لخطته العسكرية العرجاء، فيوجه قواته بغباء إلى الكويت لتحريرها، تاركا وراءه القوة العسكرية العراقية الجبارة والقدرات التدميرية للعراق بدون مساس، لتنقض عليه من الخلف وتستعيد منه الكويت؟

لقد كان النظام العراقى يفكر فى عام ١٩٩٢ كما كان المماليك فى مصر يفكرون فى عام ١٧٩٨! فرغم التقدم الهائل فى السلاح الذى كان يملكه بحكم التقدم التكنولوجى الهائل، فإن العقلية العراقية التى كانت توجه هذا السلاح وتخطط باسمه لم تكن تفترق كثيرا عن عقلية القيادة المملوكية فى زمن حملة الجنرال بونابرت على مصر!

وللأمانة التامة فإن العقلية العراقية فى ذلك لم تختلف أيضا كثيرا عن العقلية المصرية التى كانت تقود جيش يونيو ١٩٦٧ التى تناست الفروق الحضارية بينهما وبين العقلية الإسرائيلية الوافدة من الغرب، وتصورت أن الحرب سوف تجرى كما خططت لها هى وليس كما خططت القيادة العسكرية فى إسرائيل!

ففوجئت بسلاح الجو المصرى كله محطما فى بضع ساعات من بدء الحرب، وبأن قواتها المدرعة التى أعدتها لحرب الصحراء قد أصبحت مشلولة لا تستطيع سوى تحقيق الهزيمة لا النصر، فانتهت الحرب من الناحية الفعلية فى ساعات!

وكذلك فعلت القيادة العراقية التى تصورت أن الحرب سوف تجرى كما خططت لها، وليس كما خططت قيادة التحالف (أو القيادة الأميركية)! وسوف تتاح لها بذلك الفرصة لإرسال الألوف من زكائب البلاستيك التى تحمل أشلاء الجنود الأميركيين إلى أميركا لتجبر الرئيس الأميركى على رفع راية الاستسلام!

وفى الواقع أنه فى طول تاريخ الصراع بين العرب والغرب فى العصر الحديث، لم ترتفع عقلية عربية عسكرية إلى مستوى العقلية الغربية العسكرية إلا فى حرب واحدة فقط هى حرب أكتوبر ١٩٧٣! فهى أول حرب عربية ـ غربية تتفوق فيها العقلية العربية المصرية على العقلية الغربية الإسرائيلية فتهدم فى ست ساعات خط بارليف الذى بنته القوات الإسرائيلية فى ثلاث سنوات، والذى كانت القيادة الإسرائيلية تؤكد استحالة هدمه حتى ولو اجتمع عليه سلاحا المهندسين الأميركى والسوفييتى!

وقد كان من الممكن أن تستفيد العقلية العراقية مما قدمته العقلية المصرية فى هذا الشأن فى تحرير فلسطين، ولكنها أثرت أن تستفيد منه فى شن حربها ضد إيران أولا، ثم فى اجتياحها للكويت ثانيا! وقد عجزت عن إخضاع إيران وهزيمتها أولا، وتصورت أنها حققت نصرا على الكويت عندما اجتاحتها فى ساعات ثانيا، ولم تعرف أنها حققت هزيمة مزدوجة:

الأولى هزيمتها لنفسها أمام التاريخ، لأنها بدلا من أن تحارب إسرائيل حاربت الكويت! والثانية عندما أفلتت أسرة الصباح من الأسرـ وهى الأسرة التى

ارتبط بها قيام دولة الكويت وارتبط بها تاريخها ومصيرها على مدى مائتين وخمسين عاما، وارتبطت بها ـ بالتالى ـ شرعية دولة الكويت ـ فانهزمت أهداف العملية العسكرية العراقية الخسيسة، وانحسمت المعركة ضدها منذ اللحظات الأولى للحرب.

والمهم هو أن هيكل أخفى عمدا هذه الأسباب الحقيقية لضرب العراق وتدمير القدرات التدميرية العراقية، فى إطار الخط الذى اتخذه فى كتابه، وهو خط تصوير حرب تحرير الكويت فى صورة حرب تدمير العراق! لكى يصل بنا إلى نتيجة لم تكن فى الحسبان كان يدخرها فى جعبته المليئة بالطرائف، وهى تصوير الحرب التى شنتها قوات التحالف ضد العراق فى صورة «حرب صليبية» وتصوير صدام حسين ـ بالتالى ـ فى صورة صلاح الدين!

ففى قطعة درامية من كتابه، وفى صفحتى ٥٤٦، ٥٤٧، يلتقط بذكاء الإسم الرمزى الذى اختاره الجنرال شوارتزكوف للعملية العسكرية التى قامت بها القوات البرية فى قلب العراق، وهو إسم «آفاماريا» (Ave Maria) الذى ترجمه: «المجد للعذراء»، فيقول: «إن هذاالإسم الرمزى يستعيد للأذهان (لا يذكر أذهان من؟) أصداء صليبية من قبل (!) فحين دخل الجنرال البريطانى اللنبى فاتحا القدس يوم ٩ ديسمبر ١٩١٧، كانت قولته المشهورة: «الآن انتهت الحروب الصليبية»! وحين دخل الجنرال جورو دمشق يوم ٢١ يونيو ١٩٢٠، توجه مباشرة إلى قبر صلاح الدين، ووقف أمامه وقال قولته المشهورة: «ها قد عدنا يا صلاح الدين»! والآن جاء الدور على قائد أميركى لكى يقول بعد سبعين سنة: «المجد للعذراء»!

فهل هذا معقول؟ إننى أسمع منذ أعوام طويلة القطعة الأوبرالية الشهرية «آفاماريا» (Ave Maria) أى «السلام عليك يا مريم» ـ التى ترجمها هيكل إلى

«المجد للعذراء» لكى يصبغها بصبغة الحرب!! ـ وهى التى لحنها الموسيقى العظيم «شوبرت» لكلمات قصيدة كتبها وولتر سكوت وترجمت إلى الألمانية، ولم يستحضر الإسم فى ذهنى أبدا ذكرى الحروب الصليبية! ولم اسمع طبول الحرب! وإنما كنت استمع إلى ابتهالات دينية! وإذا كان شوارتسكوف قد اختار هذا الاسم للعملية العسكرية فى العراق، فقد اختاره للتبرك باسم العذراء، كما فعل صدام حسين حين استعار اسم معركة القادسية أيام الإسلام الأولى ليطلقه على حربه مع إيران!

ولكن هيكل ـ بعبقريته التى خانته ـ يتخذ من هذا الإسم سلما لتنصيب صدام حسين مكان صلاح الدين، ويرفع هذا الحاكم الذى حارب المسلمين فى إيران، والعرب المسلمين فى الكويت، وقذف الأراضى السعودية بصواريخ سكود، ودفع بملايين العراقيين إلى حتفهم فى حروب فاشلة ظالمة، واستلم العراق ثرية عزيزة وانتهت على يديه إلى دولة يعانى شعبها شظف العيش ـ يرفعه إلى مقام صلاح الدين الذى حارب من أجل الإسلام، وانتصر من أجل الإسلام! ويربط بين دخول قوات التحالف إلى العراق لتحرير الكويت المغتصبة، ودخول الجنرال اللنبى القدس وقوله: «الآن انتهت الحروب الصليبية»، ودخول الجنرال جورو دمشق وقوله على قبر صلاح الدين: «ها قد عدنا يا صلاح الدين»!

ويتناسى هيكل أنه لم يكن هناك أى وجه للمقارنة بين صدام حسين وصلاح الدين، فلم يضع صدام حسين قوته العسكرية أبدا فى خدمة العرب والإسلام، ولم تكن حربه مع الكويت حربا عادلة، ولم تكن معركته مع الغرب دفاعا عن حق وإنما كانت دفاعا عن باطل. كما أنه لم تكن ثمة وجه للمقارنة بين الحروب الصليبية وحرب الخليج، فلم تكن القوات التى خاضت الحرب ضد النظام العراقى قوات مسيحية فقط [أو صليبية بمفهوم هيكل!] وإنما كانت

قوات مسيحية وإسلامية، فقد اشتركت فى الحرب قوات مصرية وسعودية وسورية وكويتية وإماراتية وبحرينية وقطرية وعمانية!

ولكن هيكل لا يعترف بالمستحيل، مادام يخدم المنظور العراقى لحرب الخليج! ومن هنا يتجاهل الثوابت فى كتابه عن حرب الخليج، فيتجاهل على مدى ٦٣٥ صفحة دور القوات المصرية، ويرفع صدام حسين إلى مقام صلاح الدين رغم استحالة المقارنة، ويحصر دور مصر فى إطار الفلك الأميركى الذى يتصورها تدور فيه وتنفذ مخططاته! وفى مسرحيته يتحول كل الابطال إلى كومبارس، اللهم إلا الرئيس العراقى صدام حسين والرئيس الأميركى جورج بوش! منتهى الإستخفاف بالأحداث والشواهد.. على حد قول الاستاذ الدكتور عبد العظيم رمضان..

الفصل الثامن

ذاكرة أمة

هيكل يفبرك التاريخ!!؟

ويواصل الدكتور عبد العظيم رمضان حديث الوثائق مشيراً إلى الأخطاء التي وقع فيها هيكل ومن أجل كلمة صادقة للتاريخ يقول:

في كثير من الأحيان، وأنا أقرأ كتاب محمد حسنين هيكل، تتردد في ذاكرتي كلمته التي سجلها في مقدمة كتابه عن حرب الثلاثين سنة، وفيها يقول: «إن لدينا هنا صراعا من نوع مثير، فهو صراع على ذاكرة أمة يريد لها بعضهم أن تنسى في منتصف الطريق من هي؟ وإلى أين كانت قاصدة عندما بدأت رحلتها في المستقبل؟ ويريد لها آخرون أن تتذكر نفسها وطريقها والمستقبل» (ص ٩ ـ ١٠).

وأتصور أن هيكل في كتابه عن حرب الخليج قد وقف من هذا الصراع الدائر على ذاكرة الأمة العربية موقف من يريد لها أن تنسى من هي وإلى أين كانت قاصدة عندما بدأت رحلتها في المستقبل؟ ومن هنا تأتي مهمة هذه السلسلة من المقالات في الرد على هيكل، وهي تذكير الأمة العربية بنفسها وطريقها والمستقبل!.

وحتى لا يكون كلامنا تجريديا فإن حرب الخليج بدأت ـ كما هو ثابت تاريخيا وكما هو معروف ـ بغزو النظام العراقي للكويت يوم ٢ أغسطس ١٩٩٠. ولم يكن هذا الغزو غزوا يستند إلى أي أساس من الشرعية، بل كان انتهاكا لميثاق

الأمم المتحدة والقانون الدولى وميثاق جامعة الدول العربية وروابط العروبة والاسلام. وقد اثار هذا الغزو غضبا عالميا عبر عنه مجلس الأمن فى نفس يوم الغزو بقراره رقم ٦٦٠ الذى أدان فيه الغزو وطالب العراق بالانسحاب، وعندما أعلن النظام العراقى ضم الكويت اعتبر مجلس الأمن هذا القرار لاغيا ومعدوما، وأصدر فى ذلك قراره رقم ٦٦٢.

واستمر إصدار مجلس الأمن قرارته حتى بلغت ١٢ قرارا، وقد اشتركت فى تحرير الكويت قوات ثلاثين دولة، كانت منها جيوش مصر وسوريا والسعودية والكويت وجيوش عربية وإسلامية أخرى.

هذا هو التاريخ الصحيح الذى دخل فى ذاكرة الأمة العربية، ومن هنا كان صراع هيكل لإخراج هذا التاريخ من ذاكرة الأمة العربية وإدخال تاريخ آخر لا يتصل من قريب أو بعيد بهذا التاريخ! ـ تاريخ يقلب الحقائق ويصور حرب الخليج فى صورة حرب صليبية شنها الغرب المسيحى على العراق المسلم! وتصوير العراق ـ بالتالى فى صورة البطولة الاسلامية التى وقفت فى وجه جيوش الغرب المسيحية، والوصول من ذلك إلى تصوير صدام حسين فى صورة صلاح الدين!

ففى تحليل هيكل لموقف المغرب العربى من أزمة الخليج، نراه ينسب هذا الموقف ـ فيما ينسب ـ إلى ما ظهر على التصرفات الأميركية والغربية ـ وبالذات أحزاب أقصى اليمين الفرنسى واعلامها ـ من «إشارات صليبية كان المغرب العربى على استعداد لفهمها من أول لحظة»!.

ويقول: «إنه من هنا فإن أزمة الخليج طرحت نفسها فى المغرب العربى كنوع من التحدى ـ حتى ولو كان يائسا ـ للارادة الغربية الغالبة والمتحكمة، وكنوع من التصدى لروح صليبية ـ أوروبية أميركية ـ لا تخفى تعمدها إذلال العرب المسلمين ونهب مواردهم وسفك دمائهم »!.

فهل هناك أى وجه شبه بين هذه الصورة التى رسمها هيكل والصورة التى دخلت فى ذاكرة الأمة العربية عن غزو دولة عربية قوية لدولة عربية صغيرة بليل، واستعباد شعبها ونهب ثرواتها؟ لقد سطا هيكل على ذاكرة الأمة العربية وسرق منها التاريخ الصحيح ـ تاريخ غزو وتحرير الكويت ـ ووضع مكانه تاريخا مزيفا هو تاريخ الحروب الصليبية!

ومن أجل ذلك فقد استعان بكافة المظاهرات مدفوعة الثمن التى حركها النظام العراقى فى بعض البلاد العربية ضد الحشود الغربية، وصورة فى صورة مظاهرات مؤيدة للعراق! ففى صـ ٣٨ من كتابه يقول: «شهدت بعض المدن والعواصم العربية مظاهرات ضخمة تأييدا للعراق فى مواجهة التحشدات العسكرية الأميركية التى تهيىء نفسها للانقضاض عليه وضربه، وتكررت مشاهد هذه المظاهرات الضخمة فى الجزائر والرباط وتونس وعمان والخرطوم واليمن وغيرها، بل لقد شهدت مدينة طرابلس مظاهرة اشترك فيها نصف مليون مواطن، وكان الرئيس معمر القذافى بنفسه على رأسها».

وبطبيعة الحال فإن هيكل يعرف جيدا الفرق بين تعبير «مظاهرات تأييد العراق»، وتعبير «مظاهرات معادية للتحشدات العسكرية الأميركية»! فالتعبير الأول يعنى موافقة هذه المظاهرات على غزو العراق للكويت وضمها إليه! وهو ما لم تعلنه مظاهرة واحدة من هذه المظاهرات، حتى فى الدول المتواطئة مع العراق فى غزو الكويت، مثل الأردن والخرطوم واليمن، فقد رفضت جميع الدول العربية بدون استثناء غزو العراق للكويت، كما رفضت ضمه إليها ـ أما التعبير الثانى فيعنى رفض الحل العسكرى الأجنبى لإنهاء غزو العراق للكويت، وهو شىء آخر تماما.

فمعارضة العراق فى غزوه للكويت، هو قاسم مشترك أعظم فى هذه

المظاهرات التى تحركت لمعارضة التدخل الاجنبى، سواء حركتها النظم المتواطئة مع النظام العراقى، أو دفع النظام العراقى ثمنها فى النظم التى دفعت بجيوشها إلى جانب جيوش التحالف لتحرير الكويت، مثل مصر، فلم ترفع مظاهرة منها لافتة تحمل« «نعم للغزو العراقى للكويت» ! وإنما كانت لا فتاتها: «لا للتدخل الأجنبى» .

وهذا أمر طبيعى، لأن موافقة أية دولة عربية على غزو العراق للكويت تحت ذريعة الحق التاريخى التى تذرع بها النظام العراقى، تفتح عليها باب جهنم! وتعرض حدودها الخطر من جانب الدولة العربية المجاورة معها وفقا للحق التاريخى!

ويضيف الدكتور عبد العظيم رمضان قوله:ـ

ولذلك أذكر أننى فى ذلك الحين، وأنا أتابع الأزمة بمقالاتى واحاديثى فى الاذاعات المصرية والاجنبية وفى التليفزيون المصرى، حذرت من ذلك تحذيرا شديدا. وعندما قامت مظاهرة النصف مايون فى طرابلس التى رأسها القذافى بنفسه، كتبت فى مجلة أكتوبر أقول بالحرف الواحد: إنه إذا سمح للعراق بالاحتفاظ بالكويت «يمكن لمصر ذات القوة العسكرية الضخمة أن تستعيد من ليبيا بالقوة العسكرية واحة جغبوب وهضبة السلوم وباقى الواحات. وسوف تكون حجتها أقوى من حجة النظام العراقى فى احتلال الكويت، فلم تكن الكويت فى يوم من الايام أرضا عراقية، وادعاءات النظام العراقى التاريخية فى هذا الصدد هى ادعاءات كاذبة مضللة، ولكن حجة مصر فى استعادة جغبوب وهضبة السلوم وبقية الواحات حجة يسندها التاريخ، فقد كانت هذه كلها أرض مصرية حتى فى سنة ١٩٢٥ لم تتنازل عنها لليبيا ـ التى كانت واقعة تحت الاحتلال الإيطالى ـ وإنما تنازلت عنها لإيطاليا بضغط من انجلترا التى كانت تحتلها. وبالتالى فهى

صفقة بين دولتين استعماريتين لم يكن للشعب الليبى دور فيها، فلا هو طالب باقتطاع هذه الأراضى من مصر لضمها إلى ليبيا، ولا كان حتى يفكر فى ذلك، ولذلك لم تكف مصر أبدا عن المطالبة برد هذه الأراضى إليها من ليبيا حتى عام ١٩٥٣». (أنظر ذلك فى كتابنا» : الاجتياح العراقى للكويت فى الميزان التجارى» ، ص ١٠٣ ـ ١٠٤ ـ وهو يضم بعض مقالاتى فى أثناء الأزمة.

على أن هيكل يحول قضية معارضة المظاهرات للتدخل الاجنبى العسكرى إلى قضية تأييد المظاهرات للعراق! ويستغل فى ذلك صعوبة إدراك القارىء الخيط الرفيع بين القضيتين، ويتخذ من هذه المسألة ذريعة للترويج لصدام حسين ورفعه إلى مقام البطولة، وهو الذى كان ينشب أظافره فى جسد شعب عربى مسلم، ويذيقه من النكال ما لم يفعله هولاكو وأتيلا ملك الهون!

ولتأكيد هذه الصورة نراه ينتقى إحدى القصص التى كان الاعلام العراقى يبثها فى العالم بعد إعدادها إعدادا مسرحيا، وهى عن سيدة جزائرية وضعت مولودا فى نفس الوقت الذى انطلق فيه أول صاروخ عراقى فى اتجاه إسرائيل، فذهب الوالد فى الصباح إلى مكتب السجل المدنى يطلب فيه قيد مولوده باسم «سكود» ! ولما رفض موظف مكتب السجل المدنى أن يقبل إسم الوليد باعتبار أن هناك قانونا جزائريا يمنع استخدام الأسماء الاجنبية فى تسمية المواطنين الجزائريين، رفع الوالد قضية على مكتب السجل المدنى (!) مطالبا بحريته فى اختيار اسم وليده، وبعد أن قطعت اجراءات التقاضى شوطا، اقتنع الوالد بأن القانون صريح فاختار لابنه اسم «صدام» بدلا من «سكود» !

وبطبيعة الحال فإن هيكل يعرف جيدا «فبركة» مثل هذه القصص، فهو أستاذ كبير! لأن رغبة والد فى تسمية ابنه «سكود» ليست من الأحداث الكبرى التى يتوقف عندها الاعلام الجزائرى فى تلك الفترة الصاخبة التى تأخذ بخناق

الأمة العربية، ويتتبعه فى إجراءات التقاضى حتى يقلع عن الإسم ويستبدل به اسم «صدام»! فهذا قد يكون معقولا فى حالة ما إذا كان الوالد شخصية سياسية أو فنية كبيرة تسلط عليها الأضواء، أما والوالد من عامة الشعب، ومن بين عشرات الملايين من أبناء الشعب الجزائرى، فإن انتقال الاعلام الجزائرى إليه لمتابعته فى اختيار اسم ابنه يصبح فى حكم المستحيل! ترى لو أختار أحد أبناء الشعب لابنه اسم «باتريوت» هل كان ينتقل إليه الاعلام الجزائرى لمتابعته؟

ولكن هذه القصة هى نموذج لما يقدمه هيكل فى هذا الكتاب فى أثناء صراعه على ذاكرة الأمة العربية، ومحاولته تصوير حرب تحرير الكويت فى صورة حرب صليبية يشنها الغرب على العراق المسلم، وتغييب وعى الشعب العربى لينسى جريمة غزو العراق للكويت ولا يذكر سوى نضال العراق المسلم ضد الغزو الصليبى تارة أو ضد الغزو الأميركى تارة أخرى!

وفى هذا الخط الذى يروج لصدام حسين، ينقل إلينا هيكل قصة أخرى من تلك القصص التى فبركها وأعدها النظام العراقى أثناء الأزمة، فيقول إن أحدى فرق أغانى الرأى الجزائرية (ويشرحها بأنها الصيحة الفنية العالية فى المغرب والمدوية فى أوربا الآن) «تحمست لتقديم أغنية عن صدام حسين (!) لكن الاذاعة الفرنسية التى كان التسجيل يعد لها، رفضت اذاعتها»! وبطبيعة الحال فإن هيكل لا يذكر اسم هذه الفرقة، وما إذا كانت من الدرجة الثالثة أو الرابعة أو العاشرة، فالتجهيل مطلوب وواجب فى أمثال هذه القصص المفبركة! وهيكل لا يعنى نفسه إطلاقا بمناقشتها، بل ينقلها كما هى لاستخدامها فيما أعدت وفبركت له بالفعل، وهو الترويج للنظام العراقى وتمجيد ما فعله من غزو الكويت، ورفع صدام حسين إلى مقام صلاح الدين.

وفى الوقت نفسه يورد هيكل فى كتابه روايات مفبركة أخرى تظهر تخبط

وانخفاض الروح المعنوية فى الجانب العسكرى المصرى المواجه للعراق! ومنها تلك الرواية التى ذكر فيها أن بعض الجنود المصريين والسوريين كانوا يتابعون نشرات الاخبار من إحدى محطات الاذاعة التى استطاعوا التقاط موجاتها فى معسكراتهم فى حفر الباطن، عندما أطلق العراق فى ليلة الثامن عشر من شهر يناير ١٩٩١ أول صاروخ من طراز سكود ليسقط وينفجر على اطراف تل أبيب، ويقول هيكل إنه «فور سماعهم النبأ لم يتمالك بعضهم نفسه، مع تباعد المواقع، من أن يطلق صيحة التكبير والتهليل، فقد تذكر الجنود أين هم؟ ولماذا؟ ـ وكان على بعضهم أن يتوقع لوما، وقد جاءه (!) وعلى بعضهم أن يتوقع تأديبا، وقد ناله (!). ثم يعلق هيكل على هذه الرواية بقوله: «كان هذا المشهد الغريب تعبيرا تلقائيا وصادقا عن حالة أمة بأسرها، لا تعرف فى أى مكان هى؟ ولماذا؟ وإلى أين؟.

ولست أدرى من أين أستقى هيكل هذه الرواية الطريفة: هل استقاها من المصادر المصرية المسئولة، أو استقاها من المصادر العراقية؟. وقد كان على أن أحقق فى هذه الواقعة بنفسى، فاتصلت بأعلى مصدر مسئول فى الجيش المصرى فى ذلك الوقت (وقد رفض أن أذكر اسمه صراحة اكتفاء بتحديد أنه أعلى مصدر مسئول)، وقد أكد لى أنه لم يصل إلى القيادة العليا أى علم بواقعة من هذا النوع! وكان الشيء الآخر الذى أكده أنه لم يحدث تأديب لجنود على مثل هذه الواقعة! وحتى أتأكد من هذا الكلام فقد سألت المصدر العالى: هل من الضرورى أن يصل إلى علمه مثل هذه الواقعة لو وقعت؟ وكانت الإجابة بالتأكيد.

وعلى ذلك فإن هذه الرواية تدخل فى تصنيف رواية الوالد الجزائرى الذى أراد تسمية ابنه «سكود» ثم عاد فأسماه «صدام»! ورواية الفرقة الموسيقية الجزائرية التى كانت تريد تقديم اغنية عن صدام حسين للاذاعة الفرنسية ثم منعت! ـ أى تصنيف الروايات المفبركة التى أعدها النظام العراقى وأخرجها ودفع ثمنها، أو

الروايات الأخرى التى أشاعها دون أن يكون لها أى أساس من الحقيقة.

وفي الوقت نفسه يحرص هيكل على تشويه قضية تحرير الكويت وتبرير الغزو العراقي بسوق الروايات التي تصور السفه في الانفاق من جانب أثرياء الكويت والسعودية، ومنها أنه في ليلة انفجار الأزمة، كان الشيخ حسن عنانى، وهو أحد أثرياء السعودية والصديق المقرب من دوائر الأسرة الحاكمة ـ يخسر ١٢ مليون دولار على مائدة القمار في سهرة واحدة في مونت كارلو! ويضيف إنه من المفارقة أن الخبر نشر في الصحف جنبا إلى جنب مع أنباء غزو الكويت!

ثم يقول: «إن الصحف، وبينها جريدة «التايمز» [1]، كانت تنشر أن طائرة خاصة لا تزال تحمل كل يوم من جزيرة «أوركنى» في امكتلندا إلى السعودية خمسمائة كيلو جرام من المحارات البحرية التى تشتهر بها هذه الجزيرة، وهذا برغم الأزمة ـ على حد قوله! ويعلق على ذلك بأن بعض المترفين لم يكونوا على استعداد لتغيير نمط حياتهم»!.

وإذا لم يكن هيكل يسوق هذه الروايات فى كتابه لتبرير غزو العراق للكويت فلماذا يسوقها؟ هل يسوقها لإدانة هذا الغزو؟ أليست أمثال هذه القصص مما يدخل فى إطار ما كان النظام العراقى يروج له من فكرة اعادة توزيع الثروة العربية كإحدى مبررات غزو الكويت؟

وعلى طريقة هيكل فى إيراد روايات مجهولة المصدر مما كان يروجه النظام العراقى، مما سبق ذكره، فقد أورد رواية تعزز الصورة التى رسم بها حرب الخليج، وهى أنها ليست حربا لتحرير الكويت وإنما هى حرب صليبية شنتها الدول

(١) لم نجد فى جريدة التايمز منذ بداية أيام الغزو مايفيد صحة هذا الخبر مما يؤكد اختلاق الموضوع مثل رواية الوالد الجزائرى وكعادته دائما فى تحوير المواقف.

الغربية المسيحية ضد العراق المسلم، فقال إنه فى أثناء الأزمة، «ظهرت على شاشات التليفزيون فى أكثر من بلد عربى وإسلامى (هكذا بدون تحديد!) صور على شبكة الـ «سى. إن. إن» توسطت اطارها طائرة تحمل الصواريخ، وقد كتب عليها الجنود رسائل بالطباشير الأبيض موجهة إلى أهدافها تقول للعراقيين: «نادوا على الله، فإذا لم يستجب لكم، نادوا على المسيح» !كما ظهر على عدد آخر من الصواريخ رسائل أخرى بالطباشير تقول: «نادوا على الله، فإذا لم يستجب لكم فنادوا على شوارتزكوف» !

وللقارىء الذى لا يصدق رواية هيكل أن يرجع إلى أرشيف أفلام شبكة «السى. إن. إن» .C. N. N للتحقق! ــ وهو أمر مستحيل بطبيعة الحال مع القارىء والمختص ــ فإذا عجز عن ذلك فعليه أن يرجع إلى من شاهدوا هذه الصور فى «أكثر من بلد عربى وإسلامى» ! وهم مجهولون أيضا! وكل هذا يوضح نوعية الوثائق التى استند إليها هيكل فى تأليف كتابه العجيب؟

الفصل التاسع

بين

صواريخ صدام

وصواريخ هيكل

لابد أن أصارح القارىء ـ والكلام ما يزال للاستاذ الدكتور عبد العظيم رمضان ـ بأنى حتى الآن لم أستطع أن أعثر على سبب واحد يدعو كاتبا مرموقا أسس لنفسه سمعة عربية ودولية مدوية مثل محمد حسنين هيكل إلى اختيار الجانب المخطىء فى صراع سياسى بمثل وضوح الصراع العراقى الكويتى، الذى انتهى بكارثة لم يسبق لها مثيل فى طول التاريخ العربى وعرضه، وهى كارثة الغزو العراقى للكويت. فالكاتب موقف، ومن هذا الموقف يستمد الكاتب أهميته فى تاريخ الفكر السياسى فى بلده. وبقدر وقوف الكاتب بقلمه إلى جانب الحق والعدل يتميز موقفه عن موقف غيره ممن يتخذون الكتابة وسيلة للاسترزاق وليست وسيلة لنصرة الحق والعدل.

وقد كان الحق فى قضية الغزو العراقى الكويت واضحا إلى درجة أدركها بسهولة رجل الشارع فى مصر وفى كل أنحاء العالم، وأجمعت عليها كل الدول من كافة المذاهب السياسية والأديان، فما بال هيكل، بكل ما يملك من ذكاء وقدرة على التحليل، يعجز عن إدراك ما أدركه البسطاء؟ ويضع نفسه فى خندق واحد مع صدام حسين والملك حسين وبقية الزعماء العرب (الأقزام) الذين تقاطروا على مؤتمر القمة العربية الطارئة فى ١٠ أغسطس بنية

تقويض أى حل عربى لا يحقق للمعتدى العراقى الانتفاع بثمرة عدوانه واغتصابه، فأفسحوا بذلك الطريق للتدخل الأجنبى بطلب من العرب أنفسهم وعلى حسابهم أيضا!!.

ومع ذلك فإن هيكل يقلب الحقائق بجرأة، فيلقى بالمسئولية عن فشل الحل العربى على الزعماء مبارك وجابر وفهد، ويصور المؤتمر فى صورة جزء من مخطط أميركى لفتح الطريق أمام عمل عسكرى تقوم به الولايات المتحدة، ثم يبنى على هذا التصور المغلوط سلسلة من المغالطات، ويسوق معلومات هى أقرب إلى الخيال منها إلى الحقيقة، تصور الاحتلال العراقى للكويت فى صورة تبعد عن الواقع الأليم.

ولقد كان من هذه الصور ما زعمه هيكل من أن العراق فى فترة احتلاله كان ـ على حد قوله فى ص ٥٤٩ ـ «يفتح أبواب الكويت لأى قادم عربى، بأمل إظهار أن الوضع هناك طبيعى» ! ومضمون هذا الكلام أن الوضع فى الكويت فى فترة الاحتلال العراقى كان وضعا طبيعيا لدرجة كانت تدعو النظام العراقى إلى إظهاره لأى قادم عربى!

فهل كان هيكل فى هذا الكلام يعبر عن رأيه، أو كان يتحدث عن نتيجة توصل إليها، أو أنه كان ينقل أكاذيب النظام العراقى؟ من سوء حظ هيكل أن الصورة فى الكويت تتناقض مع هذه الصورة التى رسمها تناقضا تاما من جانبين:

الجانب الأول: أن الأوضاع فى الكويت كانت من السوء بحيث لم يكن فى وسع النظام العراقى، مهما بلغ من القحة، إظهارها لأى عربى أو أعجمى! واكتفى هنا بما أورده تقرير منظمة العفو الدولية فى ذلك الحين حول انتهاكات حقوق الإنسان التى ارتكبها النظام العراقى فى الكويت منذ غزو أغسطس.

ففى هذا التقرير، وعدد صفحاته ٧٩ صفحة، يتحدث عن التعذيب والقتل الذى يمارسه جيش الاحتلال العراقى فى الكويت، والذى وصفه بأنه «متسق مع الانتهاكات المعروفة التى كان يرتكبها العراق منذ سنوات داخل حدوده»!

فأورد من هذه النماذج: «تعذيب الطفل العاجز! وقتل الصبية رميا بالرصاص أمام آبائهم! واغتصاب النساء بعد إخراجهن من منازلهن، والتناوب على اغتصابهن ثم إيداعهن المستشفيات! وتعليق الضحايا فى الأسقف! وقتل الكويتى وتركه معلقا على سارية ليراه الآخرون! والصعق بالكهرباء فى المواضع الحساسة من الرجال والنساء، وغرس شظايا الزجاج فى أجسادهم، ونزع أظافر الضحايا».. إلى آخره!

ولعل هيكل يرى معنا أن هذه الصورة ليست مما يمكن للنظام العراقى إظهارها لأى قادم عربى بأمل إظهار أن الوضع هناك طبيعى - على حد قوله!

أما الجانب الثانى: فهو أنه لم يكن هناك أى قادم عربى يسمح للنظام العراقى بدخوله الكويت، إلا إذا كان متواطئا معه! وربما كانت الوثائق العراقية الجديدة التى تركتها قوات العراق فى الكويت - بينما كانت تسرع بالهرب - هى أكبر شاهد على صحة ما أقول، وعدم صحة ما يقوله هيكل!

وهذه الوثائق قد جمعتها السلطات الكويتية بعد انسحاب القوات العراقية، ونقلتها إلى «المركز الطبى لوثائق العدوان العراقى على الكويت» بمقره المؤقت فى «مؤسسة الكويت للتقدم العلمى»، وقد دعانى للاطلاع عليها وفحصها الاستاذ الدكتور عبد الله الغنيم رئيس المؤسسة، وهى تفتح أحشاء الاحتلال العراقى للكويت، وتكشف خفاياه وما حاول تضليل الرأى العام والعربى به.

وسأنتهي هنا بإيراد وثيقتين هامتين:

الوثيقــة الأولى وتحمل على رأسها كلمة «سرى»، وصادرة من كتيبة دبابات العروبة في ٢٤ صفر سنة ١٤١١ الموافق ١٤ أيلول ١٩٩٠، وموجهة إلى كافة السرايا، وتقول إنه بناء على كتاب رئاسة أركان الجيش السرى، يمنع دخول المدنيين إلى الكويت منعا باتا إلا بحالة الضرورة القصوى، أو لمتطلبات يخول بذلك من قائد الفيلق شخصيا، ولمرة واحدة. ثانيا، منع دخول الراكب إلى الموانى الكويتية منعا باتا إلا فى حالة الضرورة القصوى أو لمتطلبات الواجب.

أما الوثيقــة الثانية وهى وثيقة غريبة وخطيرة، فصادرة من لواء المشاة الخامس والأربعين فى ١٤ ربيع الثانى سنة ١٤١١ الموافق ٣ تشرين الثانى سنة ١٩٩٠، بناء على كتاب رئاسة أركان الجيش السرى، وتتضمن تخصيص مكافأة قدرها ألفا دينار لكل من يلقى القبض على متسلل إلى الأراضى الكويتية! وتمضى على النحو التالى: تبلغ قواتنا فى محافظة الكويت وعلى حدود البصرة بأن الذى يلقى القبض على المتسلل، يكافأ بألفى دينار، وينفذ رئيس الديوان وبالتنسيق مع الفريق علاء وضع مبالغ فى مقارات الفيالق لهذا الغرض» !

أليس معنى ذلك أن قوات الاحتلال العراقية قد حولت الكويت إلى سجن كبير لا يستطيع أن ينفذ إليه أحد، لدرجة تخصيص مبلغ ألفى دينار ــ وهو مبلغ ضخم ــ لكل جندى يقبض على متسلل؟

فأين ــ إذن ــ هذا الوضع الطبيعى الذى زعم هيكل وجوده فى الكويت أيام الاحتلال لدرجة دعت النظام العراقى لفتح باب الكويت لأى قادم عربى؟ أما كان على هيكل أن يتحرى جيدا أوضاع الكويت تحت الاحتلال العراقى قبل أن يكتب عن الوضع الطبيعى فيه؟ أم أن منظوره البعثى العراقى للاحتلال العراقى للكويت قد صور له هذا الاحتلال فى صورة الوضع الطبيعى للكويت؟

وفي المقابل لهذا الوضع الذى رآه هيكل وضعا طبيعيا للاحتلال العراقي للكويت ـ أى وضع انتهاك حقوق الانسان بتلك الصورة البشعة التي صورها تقرير منظمة العفو الدولية ـ نرى «انسانية» هيكل تتحرك بشكل متدفق وهو يتحدث عما أحدثته «عاصفة الصحراء» فى العراق من دمار! فهو يقول: «إن العنف قد مورس بدون أى نوع من أنواع الحساسية الانسانية، حتى لكأن العراق كله تحول إلى ميدان تجارب لأسلحة فتاكة تختبر مدى قدرتها على القتل بطريقة معملية مجردة»!.

وفى ذلك يحمل هيكل «عاصفة الصحراء» المسئولية عما حاق بالعراق من دمار، ويرفع هذه المسئولية عن صدام حسين! مع ان اختيار الحرب والسلام كان فى يده وحده، وكان يسانده إمعات المجلس الوطنى الذين رأيناهم فى التليفزيون يؤيدون الحرب بالإجماع! كما كان يسانده قادة الجيش العراقى الذين كانوا متعطشين لاحتلال المزيد من الدول العربية ـ حسبما أورد هيكل بنفسه فى ص ٤٦٤ من كتابه عندما تعرض لزيارة الملك حسين لصدام حسين ليحدثه عن الانسحاب من الكويت، فقد قال له صدام حسين بالحرف الواحد: «يا أبو عبد الله، إنهم يريدون ما هو أكثر من الكويت»!

فإذا كان صدام حسين يريد الحرب، وكان إمعات المجلس الوطنى يريدون الحرب، وكان قادة الجيش العراقى يريدون الحرب، فأى غرابة ـ إذن ـ فى أن يذوقوا طعم الحرب؟ وإذا كان الشعب العراقى لم يرفع صوت احتجاج واحد ضد احتلال الجيش العراقى للكويت، بل أيد هذا الاحتلال بكل قوته، واعتبره تحقيقا لأمل كان يراوده منذ أيام غازى مرورا بعبد الكريم قاسم فصدام حسين، فكيف ـ إذن ـ تحركت إنسانية هيكل مع المعتدى ولم تتحرك مع المعتدى عليه؟

ويحرص هيكل على أن يقتبس فى كتابه أقوال اثنين من المؤرخين

العسكريين فى جريدة الـ «واشنطن بوست» فى عدد ٢٣ يونيو ١٩٩١ ، يـ
هدف الضرب الجوى للعراق من قبل طائرات التحالف بأنه «كان يمكن
فى حالة حرب عالمية بين قوى صناعية طالت بينها المواجهة، وحسـ
النهاية يفرض حربا شاملة تضيع فيها أرواح بشرية كثيرة تكلف المهاجم تضـ
لا قبل له بها، أما فى حالة دولة من العالم الثالث يراد كبح جماح
العسكرية، فإن هذا الحجم من التدمير يستدعى عملية مراجعة استراتيجية قـ
تكون إنسانية» !

ولم يسأل هذان المؤرخان العسكريان نفسيهما هل كانت قوة ا
العسكرية، التى احتشدت أمامها قوات ثلاثين دولة، هى قوة دولة عادية مر
العالم الثالث، وفيها خمسون فرقة مدرعة وميكانيكية للمشاة، وسبعمائة
وسلاح صواريخ يرتكز على قرابة أربعمائة منصة للاطلاق، وأسلحة كيـ
هددت بإبادة العسكريين والمدنيين؟ وهل كانت بريطانيا وحدها، أو فـ
وحدها، تستطيع قهر هذه القوة العسكرية بدون خسائر جسيمة فى الأرواح
هو الفرق الحقيقى بين حرب عالمية تقوم بين قوى صناعية كبرى و
الخليج التى اشتركت فيها قوات ثلاثين دولة؟ ألا يكفى اشتراك ثلاثين دو
حرب لوصفها بأنها حرب عالمية، أم أن من الضرورى لأن تكتسب أية
صفة «العالمية» أن تكون بين دول صناعية كبرى فقط؟

على أن هيكل يحرص على ايراد مثل هذه الآراء التى تعزز وجهة نظ
أن توسيع أهداف الضرب الجوى للعراق كان لغير ضرورة! ولا يكتفى بذلـ
يتحفنا بتفسيرات أخرى مثل أن ساحة الضرب الجوى كانت مجالا حيا لـ
أسلحة جديدة لم تسبق تجربتها! (صـ ٥٥٨ ـ ٥٥٩) وكل ذلك لتصوير
تحرير الكويت فى صورة حرب تدمير العراق، مع أنه يعرف جيدا أنه كان

صدام وحده تحرير الكويت بدون تدمير العراق عن طريق الانسحاب منها سلميا!

ولأن هيكل يرتدى الحذاء العراقى فقد رأيناه يصور عملا استعراضيا بهلوانيا مثل ضرب إسرائيل بالصواريخ السوفييتية سكود فى صورة غريبة رغبةً فى اشراك الجماهير فى المعركة، وعلى حد قوله: «عندما استبان حجم التفوق الاميركى بعد الساعات الأولى من القتال، فإنه بدا أن أمل العراق الحقيقى أصبح مرتكزا فى إمكانية توسيع رقعة المعركة، بحيث تدخل الجماهير العربية كطرف رئيسى فيها (!) وكانت الوسيلة لذلك ما أعلنه مجلس قيادة الثورة العراقى من قبل فى بيانه يوم ٢٣ سبتمبر ١٩٩٠، وذلك بضرب أهداف فى إسرائيل إلى جانب ضرب منشآت البترول فى الخليج بواسطة صواريخه من طراز سكود.

وكانت حسابات بغداد ـ فيما يبدو وهذه العبارة الأخيرة من نص كلامه ـ قائمة على أساس أن توجيه صواريخ سكود إلى أهداف فى اسرائيل سوف يستدعى تدخلا اسرائيليا مباشرا فى المعركة، الأمر الذى يعبىء الجماهير العربية للمطالبة بنصرة العراق»!

وقد نسى هيكل فى هذا التحليل أن النظام العراقى لم يضرب إسرائيل وحدها، وإنما ضرب معها الرياض! وهو ما لم يستطع إخفاءه، فقد اتبع ذلك بقوله: «إن العراق وجه ٣٩ صاروخا إلى إسرائيل، و٣٦ صاروخا إلى السعودية»!.

وإذا كان الأمر كذلك، فكيف يصور إقدام النظام العراقى على ضرب المدنيين فى الرياض واسرائيل بصواريخ غير دقيقة التصويب فى صورة عمل شرعى يستهدف منه صدام حسين إدخال الجماهير العربية فى المعركة كطرف رئيسى فيها؟ ألا يعنى هذا التصوير أن هيكل يريد أن يرفع هذا العمل الاستعراضى ـ الذى وصفه الرئيس مبارك بحق بأنه يشبه بمب الأطفال ـ إلى مقام الغزو الذى كان ينتظره العالم العربى من جانب النظام العراقى

لإسرائيل ـ وهو الغزو الذى بشرنا بـه طويلا ثم فاجأنـا بغـزو الكويت ؟!.

علي كل حال إذا كانت رؤية هيكل البعثية لإطلاق صواريخ سكود على اسرائيل والرياض قد جعلته يصورها على هذا النحو الذى كان يتصورها فيه النظام العراقى، فإن الجماهير العربية كانت أذكى! لقد فهمت على الفور المناورة العراقية، وأدركت أن الدكتاتور العراقى كان يقصد بضرب المدنيين فى إسرائيل الظهور بمظهر البطولة الزائفة، وتحويل الأنظار عن الاحتلال الآثم للكويت، وتحويل قضية احتلاله للكويت إلى قضية حربه ضد إسرائيل، وهى حرب عرفت الجماهير منذ اللحظة الأولى أنها حرب خاسرة، لأن الانتصار على اسرائيل لا يتم بضرب المدنيين الاسرائيليين، وإنما يتم بهزيمة الجيش الإسرائيلى.

بل إن الجماهير العربية تساءلت فى ذلك الحين: أين كان صدام حسين قبل ذلك؟ ولماذا لم يوجه جيوشه إلى إسرائيل بدلا من أن يوجهها إلى الكويت؟ وقد كان ضربه للرياض بنفس الصورايخ التى كان يضرب بها إسرائيل كافيا فى حد ذاته لفضح الهدف الذى كان يقصده، فلم يكن هذا الهدف قوميا عربيا بحال من الأحوال يستنفر الجماهير العربية للدخول فى المعركة، وإنما كان تخبطا أعمى من نظام عراقى عاش على الاستعراضات والشعارات الجوفاء.

والطريف ما فسر به هيكل عدم استجابة الجماهير العربية للمناورة العراقية، فلم يفسرها التفسير العلمى الصحيح الذى يتفق مع الواقع، وإنما زعم أن الجماهير لم تدخل المعركة لأنها «كانت من قبل الأزمة (كذا!) تعيش حالة إحباط ويأس، ثم أخذتها مفاجآت الأزمة على حين غرة، وأصابتها بحالة من الحيرة والتمزق فى المواقف والتوجيهات» وأنها شغلت بمتابعة الحرب التليفزيونية عن الدخول فى المعركة!

فهل هذا معقول؟ على أن هيكل لا يكتب ذلك عبثا، وإنما يريد بكلامه

عن حالة الاحباط واليأس التى كانت تعيش فيها الأمة العربية قبل أزمة الخليج، أن يرفع عن النظام العراقى المسئولية عن وصول الجماهير العربية إلى هذه الحالة! وفى الوقت نفسه يصور الجماهير العربية فى صورة جماهير لاهية بأول حرب تليفزيونية، وليست جماهير محبطة بسبب ما أصيبت فى مشاعرها القومية من نكسة بعد رؤيتها دولة عربية كبيرة تلتهم دولة عربية صغيرة على نحو ما كان يفعل هتلر فى ألمانيا النازية من التهام الدول الأوربية الصغرى.

وهذا تزوير صريح للتاريخ فلا يوجد مصدر معاصر يتحدث عن حالة إحباط ويأس كانت تعانيها الأمة العربية قبل الغزو العراقى المشئوم للكويت، بل من الثابت أن الجماهير العربية كانت قبل الغزو تتطلع إلى المستقبل فى أمل بعد قيام التكتلات الاقتصادية الاقليمية الممثلة فى مجلس التعاون الخليجى، والعربى، والمغاربى، ولكن الاحتلال العراقى للكويت دهم هذه الآمال وبددها، بعد أن وجه ضربة قاصمة إلى فكرة القومية العربية وحركة الوحدة العربية، وهدد الأمة العربية بحرب أهلية كانت كفيلة بإفنائها لولا التدخل العالمى الذى أنقذ مئات الألوف من الأرواح العربية التى كان محتما أن تزهق لو وقفت الجيوش العربية أمام الجيش العراقى المتعطش للتوسع لإجباره على الإنسحاب من الكويت!

الفصل العاشر

هيكل

وأزمة اللواء بلال!

عندما كتب محمد حسنين هيكل كتابه عن حرب الخليج، لم يكن يكتب عن حرب انتهت، وإنما كان يكتب عن حرب يعرف أنها ما زالت تدور رحاها، فصدام حسين مازال متربعا فوق السلطة رغم الهزيمة العسكرية والخراب والدمار الذى ألحقه بالعراق. وقرارات مجلس الأمن التى قبلها صدام لإنهاء الحرب وإنقاذ عنقه لم يتحقق تنفيذها بالكامل بعد، واحتمالات تجدد الحرب فى حالة عدم استجابة النظام العراقى لتنفيذ أحد القرارات مازالت قائمة، وآخرها الذى يجرى حاليا بسبب رفض صدام حسين السماح لفريق التفتيش الدولى بتفتيش مبنى وزارة الزراعة المشبوه. ومعنى ذلك أن كتاب هيكل لا ينصب على الماضى، ولا يتعلق بأحداث تاريخية، وإنما هو كتاب ينصب على الحاضر، ويتعلق بأحداث جارية.

وهذا يفسر صراع هيكل على محو ذاكرة الأمة العربية، وإلغاء العقل العربى، وتقديم تاريخ لحرب الخليج يتفق مع استمرارية المعطيات العراقية وادعاءات النظام العراقى وحقوقه التاريخية المزعومة فى الكويت، التى مازال يعبر عنها برفض ترسيم الحدود بينه وبين الكويت على يد الأمم المتحدة

من جانب، ومن جانب آخر باستمراره فى إطلاق اسم «محافظة الكويت» فى صحفه على «دولة الكويت».

نحن هنا ـ إذن ـ أمام عمل سياسى يكتبه هيكل لخدمة النظام العراقى، يطرح فيه بمهارة معتقدات يريد أن يرسخها فى ضمير الأمة العربية دون أن يكون لها أى سند من الحقيقة التاريخية، لتغيير صورة الأزمة كما ارتسمت فى ذاكرة الامة، وكما حدثت بالفعل، وإحلال الصور التى رآها بها النظام العراقى مكانها.

وعلى سبيل المثال.. هيكل فى كتابه يزعم أن الحوار العربى بين أطراف الأزمة توقف بعد ساعات من فجر يوم ٢ أغسطس ١٩٩٠، بينما استمر هذا الحوار بين أطراف الأزمة الآخرين! أى الولايات المتحدة وحلفائها. وفى ذلك يقول فى كتابه: ـ

«والغريب أن أطراف الأزمة الآخرين.. كانوا يتحاورون لتحقيق هدف لم يكن عليه فى النهاية خلاف، وهو ضرورة خروج العراق من الكويت. وقد ظل الكونجرس الاميركى على سبيل المثال يناقش كل الممكنات إلى يوم ٦ يناير ١٩٩١، أى قبل أيام معدودة من بدء الحرب ليلة ١٧ يناير ١٩٩١، أما عندنا فقد توقف الحوار بعد ساعات من فجر ٢ أغسطس ١٩٩٠»! (ص ١٤).

فهل هذا معقول؟ إن هيكل فى هذه الفقرة يلغى كل ما قام به الرئيس المصرى محمد حسنى مبارك من اتصالات وحوار منذ علم بالغزو حتى دعوته فى المؤتمر الصحفى الذى عقده يوم ١٩٩٠/٨/٨ إلى اجتماع القمة العربية الطارئة يوم ١٠ أغسطس ١٩٩٠.

وهذا الاتجاه من جانب هيكل يحذو فيه حذو النظام العراقى الذى سعى منذ بداية الأزمة إلى إنكار جهود الرئيس مبارك الساعية إلى احتوائها، فعندما توجه

الرئيس مبارك فى يوم ٢٤ يوليو ١٩٩٠ إلى بغداد، وقابل صدام حسين ومعه مشروع تهدئة يقضى بوقف الحملات الاعلامية بين العراق والكويت وبدء المفاوضات بينهما، فوجيء على الطائرة عند عودته إلى القاهرة بتصريح منسوب إلى طارق عزيز يزعم فيه أن اللقاء بين مبارك وصدام إنما كان مخصصا لبحث قضايا ثنائية فى العلاقات بين البلدين، ولم يكن عن أزمة الخليج كما روجت الأنباء السابقة. وأحس الرئيس مبارك أن هذا التصريح ليس منصفا فى حق الجهود التى يبذلها، وأنه محاولة لإفراغ رحلته من مضمونها الحقيقى، وتحجيم دوره فى محاولة حل أزمة دهمت العالم العربى.

وقد أورد هيكل بنفسه هذه القصة فى ص ٣٢٨ ـ ٣٣٠ من كتابه، فهو يعرفها! ومع ذلك فقد واصل بنفسه محاولات النظام العراقى فى إفراغ جهود مبارك من مضمونها بزعم أن الحوار بين الاطراف العربية توقف بعد ساعات من فجر يوم ٢ أغسطس.. وهو يوم الغزو المشئوم!.

وسوف نستعين بهيكل نفسه فى تفنيد كلام هيكل!. فهو يذكر كيف إن الرئيس مبارك اجتمع بالملك حسين فى يوم ٢ أغسطس واقترح عقد قمة مصغرة فى جدة لعمل سيناريو يخرج العراق من المأزق الذى وقع فيه مع حفظ ماء وجهه.. على أساس نقطتين يصرح بهما الرئيس صدام حسين، وهما: انسحاب العراق من الكويت، وعودة الشرعية إليها.

وأوضح أنه سوف يصدر بيانا يطالب بانسحاب العراق من الكويت وعودة الشرعية إليها. ثم قبل تأجيل إصدار هذا البيان تحت إلحاح الملك حسين (ص ٣٨٣ ـ ٣٨٥).

وإذا كان هذا هو فحوى الحوار بين مبارك والملك حسين الذى اتفقت عليه روايتهما، أفليس معنى ذلك أن الرئيس مبارك أراد فتح باب الحوار مع الرئيس

العراقى فى مؤتمر قمة عربية مصغرة، يخرج العراق من المأزق الذى وقع فيه بالغزو؟

والسؤال الآن: هل قبل النظام العراقى إجراء هذا الحوار الذى ينهى الأزمة؟ إن هيكل نفسه يجيب عن هذا السؤال بما يفيد أن النظام العراقى قد أغلق باب الحوار بالضبة والمفتاح!

فهو ينقل عن الدكتور سعدون حمادى، فى اجتماع وزراء الخارجية العرب فى فندق سميراميس بالقاهرة، كلاما عن حق العراق فى الكويت، وعن مسار الأزمة فى العلاقات بين البلدين حول أسعار البترول وخطوط الحدود والديون المستحقة على العراق! (ص ٣٨٦).

وينقل عن السيد عـزة إبراهيـم قوله ـ للملك فهد ملك السعودية ـ: «إن الكويت جزء من العراق عاد إليه»! (ص ٣٨٦).

ثم ينقل عن الملك حسين قول صدام له: إن القوات العراقية أدت مهمتها فى مسانـدة ثـورة شعبيـة كويتيـة ضـد حكم (أسـرة الصبـاح) وبذلك فإن القوات العراقية تستطيع أن تغادر الكويت تاركة الأمر فى يد حكومة كويتية وطنية تدير الأمور فى فترة الانتقال!

ومعنى ذلك كله رفض النظام العراقى عودة الشرعية إلى الكويت، وإصراره على تحقيق أغراضه كاملة، وتمسكه بأكاذيبه بخصوص الثورة الشعبية الكويتية المزعومة التى أراد خداع العالم بها لبسط حكمه وسيطرته على الكويت.

وإذا كانت هذه هى الحقـائق التاريخية الثابتة التى تتعلق بهـذا الموضـوع، فكيف يزعم هيكل أن الحوار توقف بين الأطراف العربية بعد ساعات من فجر ٢ أغسطس ١٩٩٠، ألم تكن هذه كلها محاولات للحوار مع النظام العراقى لإعادته

إلى صوابه وإخراجه من المأزق الذى وضع نفسه فيه بغزو الكويت، ولكن النظام العراقى رفض هذه المحاولات وأصر على بغيه وعدوانه؟

ومع ذلك فلم ييأس الرئيس مبارك، بل دعا إلى عقد قمة عربية طارئة يدعى إليها العراق ويدور فيها الحوار على أعلى مستوى، وقد عقدت القمة بالفعل يوم ١٠ أغسطس، ودار فيها حوار تاريخى بين أطراف النزاع العربية، أصر فيه النظام العراقى على موقفه أيضا مدعوما ببعض النظم العربية المتواطئة، التى تدين العدوان العراقى، وتؤكد سيادة الكويت، وتستجيب لطلب المملكة العربية السعودية نقل قوات عربية لمساعدتها فى مواجهة الحشود العراقية على حدودها.

وعلى طول الأزمة لم يكف الرئيس مبارك عن الحوار مع الرئيس العراقى، عن طريق الرسائل المطولة التى بلغ عددها ٣٢ رسالة، أجاب الرئيس العراقى عنها بالشتائم أو الإهمال أو تحميل الرئيس مبارك مسئولية الدماء العربية التى يمكن أن تراق!

ومعنى ذلك أن الحوار على الجانب العربى كان مستمرا على طول الأزمة، ولكنه كان حوارا من جانب واحد، لأن الطرف العراقى لم يستجب لأى حوار إلا إذا كان يحقق له ضم الكويت.

وهذا هو السبب الذى دعا هيكل لاطلاق زعمه بتوقف الحوار بين الأطراف العربية بعد ساعات من فجر يوم ٢ أغسطس ١٩٩٠! لقد كان يتكلم بلسان النظام العراقى، وينظر إلى الأزمة من منظوره، وهو منظور يعتبر أن الحوار قد توقف بعد ساعات من بدء الأزمة لأنه لم يقدم له ما يدعم موقفه ويساند غزوه وضمه للكويت.

ومن هنا يعود هيكل فيؤكد هذا الزعم مرة أخرى، فيقول (ص١٤) إنه فى

حين استمر الحوار بين أطراف الأزمة الآخرين، حتى فى الولايات المتحدة ذاتها التى استمر الحوار فيها حتى اللحظة الأخيرة، فإنه «اختنق فى العالم العربى منذ الساعات الأولى»! ويعلق على ذلك فى لهجة درامية فيقول: «وكان ذلك مزعجا ومخيفا» لمن..؟ هل كان مزعجا ومخيفا للنظام العراقى الذى وجد الاطراف العربية مجمعة على عودة الشرعية إلى الكويت، أو مزعجا ومخيفا لمن امتشقوا السلاح بشجاعة لتحرير الكويت؟

ويواصل هيكل اعتداءه على التاريخ، فيتحدث عما اسماه «عجز الأمة العربية حتى عن التفكير فضلا عن الفعل!»، وعن «الفوضى الشاملة» التى عمت العالم العربى! ويعزو السبب فى ذلك إلى وقوعها بين خيارين كان كل منهما مرفوضا من جانبها، فقد «كان الغزو العراقى للكويت مرفوضا، وكان التدخل الأميركى العسكرى فى الأزمة مرفوضا بنفس المقدار»!

وهذا الحديث عن عجز الأمة العربية عن التفكير والفعل الذى ظهر أثناء الأزمة يعد أحد اختراعات هيكل فى كتابه! وهو ينطق فى ذلك باسم النظام العراقى الذى كان قد خطط لإحداث هذا العجز فى مؤتمر القمة العربية الطارئة يوم ١٠ أغسطس، حتى لا يصدر المؤتمر قرارا يدين فيه العراق ويتمسك بعودة الشرعية إلى الكويت، ولكن الرئيس مبارك أدرك المخطط عندما وجد أن عددا من الرؤساء جاءوا إلى المؤتمر لغرض واحد هو إصابته بالعجز عن إصدار أى قرار، فكانت إدارته الحازمة للمؤتمر التى وجدت تنديدا عليها من الرئيس القذافى الذى وصفه هيكل بأنه كان «من أكثر الحاضرين هياجا»! والذى أعلن «اعتصامه داخل قاعة الجلسة»! وصاح فى الرئيس مبارك قائلا: «إنك لم تكن ديموقراطيا فى إدارتك للجلسة»! ولكن الرئيس مبارك رد عليه بحدة قائلا: «لا أسمح لك أن تقول هذا»! (ص ٤٣٠، ٤٣٦).

لقد فشلت خطة إصابة الأمة العربية بالعجز عن التفكير والفعل التى خطط لها النظام العراقى، وكان الفضل فى فشل هذه الخطة يرجع إلى الرئيس مبارك، ولكن هيكل يتمسك بهذا العجز المزعوم فى كتابه لأنه لا يرى إلا ما يراه النظام العراقى، ولا يسطر فى كتابه إلا ما يعبر عن وجهة نظره.

وفى الحقيقة أن الأمة العربية لم تكن فى يوم من الأيام فى تاريخها الحديث أقدر على الكلام والفعل منها فى أثناء أزمة الخليج، فقد حددت المملكة العربية السعودية منذ البداية القوة العسكرية القادرة على وقف الخطر العراقى الزاحف إلى حدودها، وتحرير الكويت، وهى قوة الولايات المتحدة الأميركية والغرب، فطلبت مساعدتها، كما طلبت مساعدة مصر وسوريا وهما أقوى دولتين عربيتين فى المنطقة، وبرهن الملك فهد بن عبد العزيز بذلك على قدرته على التفكير والفعل الصائب فى أخطر وأدق المواقف.

أما الرئيس مبارك، فإن صفاء فكره لم يفارقه فى تلك اللحظات الحاسمة، فقد حرص على أن يوفر الشرعية العربية لقوات التحالف التى تجمعت لتنفيذ قرارات الأمم المتحدة، سواء بإدارته الناجحة لمؤتمر القمة العربية الطارئة يوم ١٠ أغسطس، وإتاحة الفرصة لهذا المؤتمر لإصدار قراراته التى أكدت الالتزام بقرارات مجلس الأمن «بوصفها تعبيرا عن الشرعية الدولية»، أو بإدارته الناجحة للحملة الاعلامية الجبارة التى عبأ بها الشعب المصرى لادانة الغزو العراقى وتحرير الكويت وعودة الشرعية إليها، وقراره الهام بإرسال القوات المصرية إلى المملكة العربية السعودية لمشاركة قواتها فى الدفاع عنها، وقراره الآخر باشتراك القوات المسلحة المصرية فى عملية تحرير الكويت.

الأمة العربية ـ إذن ـ لم تكن فى حالة عجز عن التفكير والفعل فى

أثنــاء الأزمة، كما وصفها هيكــل، وإنما كانت فى حالــة مــن اليقظــة التامــة للمخطـط العـراقى، ومقـدرة فائقـة على التصـدى لـه.

أما حالـة العجـز عن التفكير والفعـل فكانت من نصيب النظـام العراقى، فلا يستطيع أى محلل سياسى فى العالم أن ينسب إلى هذا النظـام القدرة على التـفكير السليم أو الفعـل السليم، وإنما كان فى حالــة عجـز تـام، والدليل على ذلك الكـارثة الكبرى التى قـاد العـراق إليـهـا، والخـراب والدمـار الذى لحـق بمنشـآت ومؤسسـات العـراق بسببه، ولكن هيكـل يقلب الحقـائـق رأسـا على عقب بسب رؤيتـه العراقيـة لأزمـة الخليج.

ومن خلال هذه النافذة العراقية التى ترى فى حـرب تحرير الكويت حـربا هجومية عدوانية ضد الجيش العراقى، فإن هيكل ينسب إلى اللواء محمد على بلال، قائد القوات المصرية فى حفر الباطن فى السعودية وقت أزمة الخليج، أنه «عاش أزمة مشاعر متناقضـة» لأنه كان قبل شهور قليلة من انفجار الأزمة معارا كمستشار لرئاسة هيئة أركان حرب القوات العراقية المسلحة، كما كان واحدا من الذين قاموا بدور فى التخطيط لتحرير الفاو من القوات الإيرانيـة، ثم وجد نفسه فجأة فى موقع قائد القوات المصرية فى حفر الباطن، ويقول هيكـل: «إن أزمة اللـواء محمـد على بـلال لم تكن مستعصية حين كانت مهمة القوات المصريـة مقصورة على الدفاع عن السعوديـة «ولكنه حين تحول هدف المعركة إلى حرب هجومية على الجيش العراقى. فإن الرجل ـ فى أغلب الظن ـ ولم يستطع مواءمـة نفسـه مع المهمة المستجـدة» (ص ٣٧).

ويلاحظ القـارىء فى هذا الكلام الذى سـاقـه هيكل عن اللواء بلال أنه اعتـمـد فيه على الظن والاستنتـاج، ولم يقل إنه استخلص شعور الرجل منه شخصيا. وبالتالى فلنا أن نعجب لإقحام هيكل نفسه فى «مشاعر» أبطال كتابه

عن طريق الظـن والاستنتاج، وليس عن طريق السيـرة الذاتيـة أو المذكرات، مع أن العـادة المرعية فى الكتابة العلميـة الاعتماد على الوثيقة، فإذا عمـد الكاتب إلى استنتـاج فإنه يستنتج بنـاء على وقـائع وحقـائق، ولا يستنتج بناء على مغالطـات! وقد استنتج هيكـل مشاعر اللـواء محمـد على بـلال من مغالطة زعم فيها أن مهمـة القوات المصريـة تحولت من مهمة الدفـاع عن السعوديـة إلى مهمـة الحـرب الهجومية ضـد الجيش العراقى!

ولم يكن ذلك صحيحا فقد تحولت مهمة القوات المصرية من مهمة الدفـاع عن السعودية إلى مهمة الاشتراك فى تحرير الكويـت، ولا يوجد تناقـض بين المهمتين فهما مهمتان متكاملتان تماما، فالدفـاع عن السعوديـة هو هـدف وقائى، وتحريـر الكويـت هو هدف نهـائى، ولم يكن ذلك يغيب عن بـال اللـواء محـمـد على بـلال، فكيف ينسب إليـه الوقـوع فى «أزمـة مـشاعـر متناقضـة» ، وأنه لم يستطع مواءمة نفسه مع المهمة الجديدة المستجـدة؟ الا إذا كـان يريد أن يتهـم الرجـل بالجهـل بأبسـط الفـروق بين هـدف نبيل هو تحريـر الكويـت من جيش الاحتلال العـراقى، وهدف شن حرب هجومية عدوانية ضد الجيش العـراقى المسالـم الرابض على أرضه، والملتزم بمبادىء العروبة والإسلام، لقد أدرك رجـل الشـارع المصـرى هذا الفرق بسهولة، فهل يعجـز عن ذلك اللـواء بـلال؟

الفصل الحادى عشر

محمد حسنين هيكل

ورمانسية الإحتلال!

ومن أهم النقاط الأخرى التى يناقشها بموضوعية الكاتب والمؤرخ الدكتور عبد العظيم رمضان:

إذا كتب تاريخ الإعلام العربى فى يوم ما، فسوف يثبت أن نظاما سياسيا ما لم يول من الاهتمام للإعلام ما أولاه النظام العراقى! ففى الوقت الذى كان النظام العراقى يعد خططه لغزو الكويت كان يمد رسله إلى كافة أنحاء العالم العربى لشراء الصحف والأحزاب المعارضة بالأثمان الباهظة، وكان يستدعى إلى مؤتمراته العديد من أصحاب الفكر والرأى من كافة الاتجاهات السياسية ليغمرهم بخيره، ويمنحهم الهبات المالية وسيارات المرسيدس الغالية الثمن، وبعضهم لم يكن يملك سيارة فيات صغيرة! وقد ظن أنه يستطيع شراء الصحفيين والكتاب المصريين فى إحدى المرات بعربات المرسيدس، ولكن صحفيا مثل الاستاذ صلاح منتصر نصح الرئيس صدام حسين بأن يدفع للمصرين الذين عملوا فى العراق وخدموا اقتصاده أجورهم بدلا من إهداء هذه السيارات!.

وقد كان من سوء حظ هيكل اعتماده ـ لحد كبير ـ فى كتابه عن حرب الخليج على المادة الإعلامية التى «فبركها» النظام العراقى قبل وأثناء أزمة الخليج، وسوقها للقارىء فى شكل حقائق!

وقد ذكرنا سابقا نماذج من هذه المادة المفبركة، مثل الوالد الجزائرى الذى أراد تسمية أبنه سكود ثم أسماه صداما، والفرقة الموسيقية الجزائرية التى أرادت تسجيل أغنية عن صدام ولكن الإذاعة الفرنسية رفضتها! ثم قصة الجنود المصريين فى حفر الباطن الذين عوقبوا لتكبيرهم وتهليلهم عند سماع إطلاق العراق صاروخ سكود على تل أبيب، مع أن المنطق يقول بأنهم كانوا جديرين بأن ينزعجوا لأن استخدام صدام حسين هذه الصواريخ معناه أنها سوف تصل إليهم بالضرورة!

ومن نفس هذه المادة الإعلامية العراقية الفاسدة ساق هيكل هذه الرواية المضحكة عن السيدة الكويتية الثرية التى أهدت جيش الاحتلال بضائع تساوى أربعة ملايين دولار، وقد ساقها هيكل فى شكل مؤثر فكتب يقول: إن «سيدة تنتمى إلى عائلة تجارية عريقة فى الكويت (لايذكر اسمها ولا اسم عائلتها!) لم تقاوم، ولم يكن ذلك فى وسعها، لكى تمنع استيلاء الجيش العراقى على مخازن تجارة أسرتها التى كانت تشمل ضمن ما تشمل تجارة المواد الغذائية، ولقد قامت هذه السيدة بتسليم مفاتيح المخازن، وفيها بضائع تساوى أربعة ملايين دولار لضابط عراقى كبير (!) وكان تعليقها فيما بعد:

«لقد كان كل ما بدا لى فى هذه اللحظات أننى أمام شباب عربى منهك من المشى والسفر، وأحسست أنهم جوعى وحيارى، ولم استطع أن أقنع نفسى فى هذه اللحظة أن بينى وبينهم حالة من العداء يصعب اجتيازها» !

هكذا يصور هيكل إحدى حالات السطو العديدة التى قامت بها قوات الاحتلال العراقية فى الكويت فى هذا الشكل الرومانسى الذى تناقض حتى مع أبسط المشاعر البشرية التى يعرفها كل فرد. وليتصور القارىء العزيز لو أن جيش احتلال قام جنوده بالاستيلاء على مخازن تجارته بالقوة، وليتصور شعوره تجاه هذا

الجيش الغاضب: هل يرتفع هذا الشعور إلى هذا المستوى الشاعرى، فينسى ثروته المغتصبة ولايذكر سوى منظر المغتصبين المنهكين من المشى والجوع والحيرة، ويقوم بتسليم مفاتيح المخازن فى تلقائية ويسر ورغبة؟ أم أن مشاعر الغيظ والكمد والحزن والرغبة فى الانتقام هى التى تتملكه؟

ولكن هذا نموذج لتصوير هيكل احتلال العراق للكويت فى شكل يتفق مع الرؤية العراقية مهما تناقضت هذه الصورة مع الواقع الفعلى. ولذلك يعنى بتصوير الجنود العراقيين فى صورة الجنود الذين كانوا يتوقعون عند غزوهم الكويت «استقبالا وديا وحارا»! ويقول إنهم تعلموا فى المدارس منذ الطفولة ـ سواء فى العصر الملكى أو الجمهورى فيما بعد ـ أن الكويت جزء من العراق فصلته السياسة البريطانية عنوة واقتدارا. فإذا جاءت القوات العراقية الآن للكويت، فهى إذن عملية تحرير أكثر منها عملية غزو» ! (ص ٤٢).

وهذا الكلام من جانب هيكل قد يبدو معقولا فى حالة واحدة فقط، وهى أن يكون الجنود العراقيون قد تعلموا كذلك فى المدارس أن الكويتيين يعرفون أيضا أنهم كانوا جزءا من العراق فصلته السياسية البريطانية عنوة واقتدارا، وأنهم يتوقون للتخلص من أسرة الصباح الحاكمة، ويرغبون فى أن تأتى إليهم القوات العراقية محررة!

أما والحقيقة هى عكس ذلك تماما، وكان الجنود العراقيون يعرفون جيدا أن الكويتيين يقاومون الادعاءات العراقية ويلفظونها ويريدون الاحتفاظ باستقلالهم عن العراق الذى لم يكن حتى تحت السيادة العثمانية ـ فإن تصوير هيكل لمشاعر الجنود العراقيين يكون قد استقاها من المصادر العراقية، التى هى صاحبة مصلحة فى هذا التصوير.

وللإنصاف فإن هيكل لا يسوق هذا الكلام فى شكل تقريرى، وإنما

يسوقه فى شكل اجتهـاد شخصى! فهو يحرص على استخـدام تعبير «فيما يبـدو» ـ أى إنه لا يؤكـد وإنما يستنتـج!

وفى إطـار هذه الاجتهادات الشخصيـة ـ التى لا تستند إلى أى أساس تاريخى أو سيـاسى! ـ يقدم هيكـل اجتهادا آخرا يستهدف به طعن وتجريح الشرعية فى الكويـت، فيقول: «وربما خطر لبعض العراقيين أن الشعب فى الكويت سوف ينظر للقوات العراقية ليس كقوات محررة فقط، ولكن كقوات مخلصة من تعنت أسـرة الصبـاح»! أى أن هيكـل هنا يصور الشعب الكويتى واقعا تحت قهر سببـه تعنت أسـرة الصبـاح!

ولكى يؤكد هيكـل هذه الصورة فهو يستعين بموقف المعارضة الكويتية! فعندما يتحـدث عن البيـان الذى أصدرته الحكومة الكويتية فى المنفى تطلب فيه من سكان الكويـت وقف أعمال المقاومـة، يقول: «إن عددا من الشخصيات البارزة فى المجتمـع الكويتى أبدوا عدم موافقتهم على هذا البيان أثناء اجتماع المؤتمر الوطنى الكويتى فى جده فى نهاية شهر اكتوبر، «لأنه يحرم أهل الكويـت من دور فعال فى تحرير وطنهم، ومن ثم حقهم المؤكد فى المشاركة فى توجيه مستقبله فيما بعد، وكان ظن هذه الشخصيـات الكويتية البارزة أن اسـرة الصبـاح لا تريد لأهل الكويت أن يشاركوا اليوم فى المقـاومـة، لكيلا يتأكد حقهم غدا فى أن يشاركوا فى القـرار السياسى» !

وبهذا المنطق المغلوط يتصور هيكل أن المقاومة الكويتية التى تعطى الحق لأصحابها فى المشاركة فى القرار السياسى هى المقاومة داخل الكويت تحت الاحتلال، وليست المقاومة التى كانت تجرى خارج الكويت! مع أن أبسط تحليل للموقف يكشف فى وضوح تام أن المقاومة الكويتية فى الداخل لم يكن فى وسعها ـ مهما اتسـع نطاقها وامتد تأثيرهـا ـ أن تحسن الموقـف بالنسبة لجيش

احتلال يضع فى الميـدان خمسين فرقة مدرعة وميكانيكية للمشـاة، ويقيم حول وأمام قواته حواجز وموانـع ملىء بعضهـا بالبترول بحيث يمكن تحويلها إلى خطـوط نار عند اللحظـة المناسبـة ليكون منهـا خط دفـاع أول، وأنشـأ حـول مواقعـه وأهدافه الحيويـة شبكة من الدفاعـات استعمل فيها قرابـة عشرة آلاف مدفـع مضـاد للطائرات!

إن مثل هذه المقاومة الداخلية لم تكن فقط عاجزة عن التأثير على قوات الاحتلال وتحرير الكويت ـ وبالتالى عاجزة عن الاستناد إلى هذه المقاومة فى المطالبة بالمشاركة فى الحكم ـ وإنما كانت تهدد بإنقـراض الكويتيين فيمـا لو طال زمن الاحتلال ! فالشعب الكويتى قليل العدد لدرجة لا تحتمل خسارة كبيرة فى تعداده، وقد كان يسعـد قوات الاحتلال العراقيـة التخلص من الكثيرين منه عن طريق المقاومـة ! ومن هنا جاءت مطالبة الحكومة الكويتية فى المنفى لسكان الكويت بوقف أعمال المقاومة، وذلك لإيقاف النزيف فى عدد هؤلاء السكان فى غير طائل، فالمعركة كانت فى ذلك الحيـن على وشك أن تحسمها جيوش ثلاثين دولـة، ولم تكن هذه المعركة فى حاجـة إلى مقاومة داخلية لزيادة فاعليتها وضمان نتائجها.

وهذه الحقيقـة تنسف الأسـاس الذى بنى عليه الأستـاذ هيكـل الزعم الذى ساقه عن الشخصـيات الكويتية البـارزة المزعومة التى تصورت أن أسـرة الصبـاح لا تريد لأهل الكويت الاشتراك فى المقاومة حتى لا يترتب لهم حـق فى المشاركة فى الحكم، لأن هذه الشخصيـات الكويتية البارزة كانت تعلم أن الذى يحرر الكويت هو الشرعية ورموزها الممثلـة فى أسرة الصبـاح الحاكمة، وليست المقاومـة الداخلية، وأنه لو كانت قـوات الاحتـلال العراقية قد أفلحت فى اقتنـاص أسرة الصبـاح لما أصبحت للكويت قضيـة!

وهذا ما يعترف به هيكل. ففى ص ٣٦٠ من كتابه يقول: «كان المفروض أن يتم أسر الأمير وأفراد عائلته الأقربين ـ على الأقل ـ حتى لا يظل هناك من يملك حقا، أو ظل حق شرعى فى طلب النجدة من الدول الأخرى.

فالحاصل أن الشرعية فى هذا النوع من النظم التقليدية لا تقوم بدور الحكم فحسب، وإنما تقوم بنوع من الأبوية التى يحق لها وحدها أن تتكلم ما دامت كانت قادرة على الكلام أو قادرة على الحياة، فإذا تكلمت فإن كلامها هو المسموع، وإذا بقيت حية فإن رأيها هو المنتظر، ولا يستطيع أحد أن يصم أذنيه أو يتصرف دون إشارتها. وكان مؤدى ذلك أن الغزو العراقى للكويت وإن نجح فى احتلال البلد، لم ينجح فى السيطرة على رموز الشرعية فيه، وحتى إذا كانت هذه الرموز قد خرجت من البلاد، فإنها لم تترك شرعيتها وراءها وإنما أخذتها معها».

هذا النص الذى استقيناه من كتاب هيكل يوضح جيدا أن الكاتب الكبير يعرف جيدا حل لغز تحرير الكويت، وهو اللغز الذى نسجه فى كتابه، فهو يعرف أن الذى حرر الكويت هو الشرعية وليس المقاومة الداخلية مهما اتسع نطاقها، ومع ذلك فهو ينسب إلى شخصيات كويتية بارزة (لايحدد اسماءها) الجهل بهذه الحقيقة، بل ينسب إليها الجهل بحقيقة أن المقاومة الداخلية لم يكن ثمة تأثير لها فى معركة عالمية من هذا النوع الفريد فى التاريخ غير إراقة الدماء بغير جدوى! وينسب إليها أيضا الجهل بحقيقة أن الشرعية الكويتية هى التى استطاعت تعبئة قوات ثلاثين دولة عندما قدمت طلبا رسميا بالمساعدة للحكومة الأميركية والحكومات الصديقة، ولم تعبئها المقاومة الداخلية!

وهذا الكلام لم يقلل من شأن المقاومة الكويتية فى ظل الاحتلال العراقى، التى قاتلت فى أصعب الظروف. وهى مقاومة يظلمها هيكل حين يصفها بأنها لم تكن كبيرة! وينسب ذلك لسبب طريف للغاية هو أن وحدات قوات الجيش

العراقى ـ حسب زعمه ـ «كانت تحت أحكام صارمة بأن تتصرف مع سكان الكويت بأقصى درجات الانضباط والاحترام، وذلك لترسيخ المقولة العراقية بأن ضم الكويت هو بمثابة جزء من وطن عاد إليه»! وهو زعم يريد به هيكل تبرئة القيادة العراقية وتحسين صورتها لأنه يعرف أن القوات العراقية تصرفت على عكس ذلك تماماً، ولكنه يبرر ذلك بأن «مظاهر الغنى والوفرة فى الكويت كانت إغراء لا يقاوم بالنسبة لجنود جاءوا جميعا من مناطق ريفية بسيطة»! ومعنى هذا الكلام أن القيادة العراقية كانت تتصرف على أساس قومى ولكن الجنود العراقيين كان يتصرفون على أساس اقتصادى!

والمهم هو أن الوثائق العراقية التى تركتها القوات العراقية عند انسحابها السريع من الكويت تكشف من خفايا المقاومة الكويتية ما لم يكن معروفا، وهى مقاومة اشتركت فيها النساء إلى جانب الرجال! ففى إحدى الوثائق، وتحمل عبارة «سرى للغاية» وصادرة من مقر كتيبة مدفعية مضادة للطائرات رقم ٢٠٠ فى أول تشرين الأول (أكتوبر) تقول: «توافرت لدينا معلومات تشير إلى أن بعض النساء فى محافظة الكويت يقمن باستدراج الجنود العراقيين، وإغرائهم للذهاب معهن، ومن ثم القيام باغتيالهم»! وتطلب التنسيق مع الجهات الأمنية بصدد متابعة الموضوع والسيطرة على دخول العسكريين إلى البيوت».

وفى كتاب صادر من رئاسة الجمهورية العراقية، السكرتير، مديرية الاستخبارات العسكرية العامة، منظومة استخبارت الخليج، إلى مديرية مخابرات الخليج، أشار إلى كتاب مديرية الاستخبارات العسكرية العامة السرى المتضمن ورود معلومات عن طريق استراق مكالمة هاتفية بين فتاتين فى «محافظة الكويت». تطرقت إلى المواضيع الآتية: «أ» أغان وطنية تمجد الكويت وتنشد عودة الحكومة «المقبورة» (!) لها. «ب» الفتاة تحرض صاحبتها للقيام بأعمال تخريبية،

حيث تقول لها: يجب على كل فرد كويتى أن يقتل جنديا عراقيا. «ج» تهجمت الفتاة على الأشخاص الذين غادروا الكويت ولم يصمدوا من أجل تحريرهم من الغزو العراقى»! وواضح من الرسالة أن جيش الاحتلال العراقى كان يتصنت على مكالمات المواطنين العاديين، الأمر الذى يوضح أن الكويت كانت قد تحولت إلى سجن كبير. ويرجع تاريخ الرسالة السرية إلى ٢٨ تشرين الثانى (نوفمبر ١٩٩٠)، وقد ضربت القوات العراقية الحظر الكامل على الأنباء الخارجية من استعدادات لتحريرها، فالفتاة فى هذه الرسالة تلوم كل من غادر الكويت متصورة أن التحرير يأتى من الداخل عن طريق أعمال المقاومة، ولا يأتى من الخارج. وتمتلىء جعبة الوثائق العراقية بكثير مما يوضح انتشار المقاومة الكويتية، وهو ما سوف نعود إليه مرة أخرى، ولكن ما يهمنا فى هذا المقال كشف الطريقة التى يتعامل بها هيكل مع التاريخ ـ تاريخ هذه الحرب التى تمثل نقطة تحول فاصلة فى تاريخ الأمة العربية المعاصر.

فقد حرص هيكل على أن يلمح فى كتابه إلى أن غزو العراق للكويت لا يعد أمرا شاذا فى تاريخ العرب الحديث والمعاصر، بل له سوابق تبيح للنظام العراقى القيام بهذه المغامرة. ويختتم الدكتور رمضان مناقشته بالقول:

ولكن الأمر بين العراق والكويت يختلف اختلافا كليا، فقد كانت الكويت وحدة سياسية واقتصادية واجتماعية، ودولة مستقلة ذات حدود سياسية معترف بها دوليا، وهى عضو فى جامعة الدول العربية وفى هيئة الأمم المتحدة.

ومن هنا فإن احتلالها وضمها يعد أمرا ليس سابقة بالفعل فى العلاقات العربية ـ العربية المعاصرة، ومن هنا حجم الجريمة التى ارتكبها صدام حسين بغزو الكويت، ومن هنا أيضا حجم الخطأ الذى ارتكبه هيكل فى كتابه بتبرير هذه الجريمة! وتحليله الرومانسى لاحتلال العراق لدولة الكويت!!

الفصل الثانى عشر

خروج وعودة
حكومة الكويت
بين
الحقيقة وأوهام هيكل!!

وفى نهاية المطاف.. لم نعثر على كلمات تقف بنا عند نقطة إرشادية خلال رحلتنا الطويلة عبر صفحات هذا الكتاب.. سوى ما سجله الدكتور عبد العظيم رمضان حيث قال بالحرف الواحد:

ان هيكل كاتب مصرى مرموق ومقروء على مستوى مصر والعالم العربى والعالم الخارجى، ولا يستطيع أحد تجاهل ما يكتب. كما أنه ينتمى لفريق البنائين المصريين الكبار بإعادته بناء مؤسسة الأهرام على مستوى عالمى، ليس فقط كبناء عمرانى، وإنما كبناء فكرى يحتوى على رؤية لدور المؤسسات الصحفية غير مسبوقة فى حياتنا الصحفية ـ دور يتجاوز الرسالة الإعلامية إلى الرسالة العلمية، ويتجاوز الصحفى إلى المفكر!.

ومن هنا فعلى طول حوارى مع هيكل لم أفقد أبدا احترامى له، وهو ما جعلنى أفقد عطف بعض الاصدقاء الذين ينظرون له ولدوره بمنظار آخر لأسباب سياسية.

ولكنى ـ فى الوقت نفسه ـ لم تفتر لى همة فى تفجير ما بثه هيكل فى كتابه من ألغام، ربما فاقت عدد الألغام التى زرعها الاحتلال العراقى فى الكويت! والسبب فى ذلك أن القضية التى كتب فيها هيكل كتابه ما زالت ساخنة، والمعركة لم تنته، وحرب الخليج لم تضع أوزارها.

فالنظام العراقى مازال فى الحكم رغم أن مصلحة الشعب العراقى تتطلب تنحيته عن الحكم! واستمرار بقاء هذا النظام فى الحكم يبرهن على انه يتكون من عصابة إجرامية تفرض نفسها على الشعب العراقى ومقدراته، ولا يتكون من رجال دولة بالمعنى الذى عرف عن الحكام الذين عرفهم التاريخ.

فعندما خسر وليم الثانى، قيصر ألمانيا الحرب العالمية الأولى، لم يتمسك بعرش آبائه وأجداده، وإنما ترك ألمانيا إلى هولندا قبل الهدنة بيوم واحد، ثم خلع عن العرش.

وعندما خسر هتلر الحرب العالمية الثانية، لم يفرض حكمه على الألمان بالقوة، وإنما انتحر وأخلى الساحة لألمانيا لتستعيد قوتها، وعندما هزم موسولينى دكتاتور إيطاليا، قدم استقالته وترك الحكم، ولم يرحمه الوطنيون من رجال المقاومة، فقتلوه! وعندما هزم عبدالناصر فى حرب يونيو ١٩٦٧ ، أعلن استقالته وترك للشعب أن يستبقيه أو يستبعده.

ولكن أحدا من هؤلاء الحكام وغيرهم لم يقلب الهزيمة نصرا، ويتبجح بأنه انتصر على قوات ثلاثين دولة، على الرغم من أن أنفه يتمرغ فى التراب كل يوم على يد فرق التفتيش! بل إنه فقد السيطرة تماماً على أجزاء من الأراضى العراقية على الحدود مع تركيا وإيران، ولم يخرج أحد من الهزيمة المنكرة ليوجه حرابه إلى صدر شعبه، فيضرب الاكراد فى الشمال بالحديد والنار لدرجة تتطلب تدخل المجتمع الدولى، ويضرب الشيعة فى الجنوب بالحديد والنار أيضا لدرجة تدفع المجتمع الدولى إلى التدخل أيضا كما هو حادث فى العراق!

كذلك فإن أحدا من الحكام الحقيقيين لا يجدد الأسباب التى دعت المجتمع الدولى إلى امتشاق السلاح ضده كما يفعل صدام حسين حاليا! فتهديداته للكويت مازال يكررها! وادعاءاته بأنها أرض عراقية ما زال يشهرها! والخطر الذى

يتمثل فى أسلحته غير التقليدية ما زال يؤكده عن طريق الصعوبات والعقبات التى يضعها أمام لجان التفتيش! وامتناعه عن تنفيذ قرارات مجلس الأمن بالكامل يبقى سيف التدخل العسكرى الأجنبى ضد العراق مصلتا، بكل ما يحمله ذلك من أخطار على أمن الشعب العراقى ومستقبله ووحدة أراضيه.

ومن هنا كان اهتمامى بتفجير الألغام التى بثها هيكل فى كتابه لتبرير الغزو العراقى للكويت، ومحاولته بيع وجهة النظر العراقية لجماهيرنا على أنها الرؤية الصحيحة لحرب الخليج! وتصويره حرب تحرير الكويت على أنها حرب صليبية ضد العراق المسلم! وإظهار التعنت العراقى وعدم الانسحاب من الكويت فى صورة البطولة والصمود ـ أو حسبما قال طارق عزيز لوزير الخارجية الأميركى بيكر مغالطا: «الشعب العراقى شعب شجاع، والأمة العربية لن تقبل إخضاع شعبها فى العراق وكسر إرادته، لأن إرادته جزء من إرادتها» ! ـ إلى آخر هذه المغالطات الفجة.

كذلك لم يكن فى وسعى ـ كمؤرخ ـ أن أتجاهل اتهاما خطيرا ساقه الأستاذ هيكل بأن دعوة الرئيس محمد حسنى مبارك لمؤتمر القمة العربية الطارئة فى ٨ أغسطس ١٩٩٠، كانت جزءا من خطة أميركية لفتح الطريق أمام عمل تقوم به الولايات المتحدة الأميركية، تنفيذا لخط رسمه بوش على الرمال، ومده بيكر إلى الجبال! وإحاطة الزعماء العرب ـ الذين جاءوا إلى المؤتمر مبرمجين لإفشال أى حل عربى يحفظ للأمة العربية كرامتها ـ بهالات من البطولة الكاذبة، وإبراز بذاءاتهم ضد مصر والحق الكويتى! لقد كان ذلك تشويها فظيعا لدور من أعظم الأدوار التى لعبتها السياسة المصرية السعودية فى طول التاريخ المعاصر وعرضه، جذب إليها احترام العالم المتمدن الذى يؤمن بالشرعية والقانون الدولى والمواثيق الدولية.

وفى الوقت نفسه لم يكن فى وسعى التجاوز عن المحاولة الممجوجة للملك حسين، التى روج لها هيكل فى كتابه، والتى تزعم أن الرئيس مبارك كان هو المسئول عن تمسك صدام حسين باحتلاله للكويت وبعدم الانسحاب منها، لتسرعه بإدانة الغزو العراقى! وتحميل مصر ـ بالتالى ـ مسئولية حرب الخليج ودمار العراق!. لقد كان من حق الملك حسين أن يطالبنا بإلغاء عقولنا، ولكن لم يكن من حق هيكل ـ وهو الكاتب المصرى الكبير ـ ذلك، وإنما كان واجبه كشف ما فى محاولة الملك حسين من زيف وتضليل.

وكذلك لم يكن فى وسعى تقبل تجاهل هيكل لدور القوات المصرية فى حرب الخليج، تحت زعم أن الحرب كانت حربا جوية! وعدم اعترافه إلا بالقوات البرية الأميركية والبريطانية والفرنسية عندما اضطر إلى الكلام عن القوات البرية.

لقد كان تجاهل دور القوات المصرية والسعودية من جانب كاتب مصرى يتحدث عن حرب اشتركت فيها هذه القوات، وقامت بدور شهد به العالم أمرا غير مفهوم! فالمفروض فى الكاتب أنه ينطلق من نافذته وليس من نافذة الغير، وقد كان تحاشى هيكل الكلام عن دور هذه القوات أشبه بتحاشيه التعرض لدور شائن! ـ وهو أمر مفهوم فى إطار نظريته التى تنظر إلى حرب الخليج كحرب صليبية خاضتها القوات الأميركية المسيحية وحلفاؤها من العرب ضد بلد عربى مسلم!

ولم يكن فى وسعى كذلك تقبل محاولة هيكل تصوير حرب الخليج فى صورة حرب غير شرعية! وتصوير قوات التحالف الدولى ـ ومنها القوات المصرية ـ فى صورة قوات لا سند لها من ميثاق الأمم المتحدة، يقودها قائد أميركى لا يتبع الأمم المتحدة (لا يرتدى البيريه الأزرق!).

لقد حشد هيكل آراء القانونيين المساندين لوجهة نظر النظام العراقى، وأدخل قارئه فى متاهات قانونية وفقهية لا هدف لها إلا خدمة وجهة النظر العراقية التى كانت ترى الأمور بمنظار مقلوب وهى واقفة على رأسها والعالم واقف على قدميه، فقد كانت ترى فى حرب الخليج حربا غير شرعية خاضتها قوات غير شرعية، وترى فى قوات الاحتلال العراقية فى الكويت قوات شرعية لأنها قوات تحرير استردت قطعة من التراب الوطنى كان تابعا لولاية البصرة وفصلته يد الاستعمار البريطانى عن العراق! وكل ذلك كان مسخا لحقيقة حرب الخليج وتشويها لصورتها فى ذهن القارىء.

ولا شك أن هيكل كان أمينا ـ فيما ساقه فى كتابه ـ لما كان يؤمن به، وما عبر عنه بعد غزو العراق للخليج فى جريدة «التايمز» فى جرأة يحسد عليها.

فقد كان رأيه فى «الشرعية» رأيا يحسده عليه برودون Proudhon فيلسوف الفوضوية الشيوعية فى القرن التاسع عشر! إذ كان يرى أن «الشرعية أكثر من مجرد المحافظة على أوضاع الدول السياسية! إن الشرعية أولا وأخيرا يجب أن تكون تعبيرا عن حقائق الجغرافيا والتاريخ! إن الشرعية يجب أيضا أن تعكس القيم والتطلعات والطموحات الأنسانية» !

ومعنى هذا الكلام تقنين ما فعله صدام حسين من غزو الكويت تقنينا سياسيا وفكريا، وتقنين كل توسع يقدم عليه حاكم فاشى على حساب الشرعية. فكل شرعية تتهاوى أركانها وتصبح لاغية إذا لم تكن تعبيرا عن واقع الجغرافيا والتاريخ، وإذا لم تعكس القيم والتطلعات والطموحات الإنسانية (للحاكم الفاشى طبعا!) .

وهكذا قادنا هيكل إلى ما كتبناه فى الرد على ما أورده فى كتابه، والذى نختمه بمناقشة نقطتين:

الأولى: دعوى الشجاعة والصمود التى ساقها طارق عزيز فى مقابلته مع بيكر وزير الخارجية الأميركية وهو يتمسك باحتلال الكويت، **والثانية:** تزييف خروج الاسرة الحاكمة من الكويت، التى ساقها هيكل فى شكل هروب مخز بتعليمات من المخابرات الأميركية!.

وحقيقة خروج الاسرة الحاكمة الكويتية لا يعلم حقيقتها إلا المملكة العربية السعودية التى أشرفت على خروجهم واستقبالهم... ثم اعادتهم إلى الكويت... وهى مواقف موثقة.. لايستطيع أن ينكرها هيكل أبداً.

وبالنسبة **للنقطة الأولى**، فإن الوثائق التى تركتها القوات العراقية عند خروجها من الكويت توضح فى جلاء أن الروح المعنوية بين هذه القوات كانت فى الحضيض، ولم تكن كما كانت تتبجح به القيادة العراقية وتخوف به العالم.

ففى إحدى هذه الوثائق، وهى كتاب «سرى للغاية وشخصى» صادر من قيادة فرقة المشاة الحادية عشرة، يتحدث كاتبه عن أمر أصدره «السيد الرئيس القائد العام للقوات المسلحة» باجتماع القيادة العامة للقوات المسلحة يوم السبت ٨ كانون الأول (ديسمبر) ١٩٩٠، بخصوص طلب متطوعين للعمل الفدائى من بين القوات المسلحة والمدنيين وتوزيعهم على نقاط حصينة، ليقوموا بتدمير معدات وأفراد العدو بعمليات قوات خاصة، ويكون لكل فوج من الأفواج المعينة عشرون مقاتل لهذه العمليات، وكذلك تخصيص أعداد من هؤلاء الفدائيين إلى طيران الجيش لنفس الغرض ولإنزالهم خلف العدو».

أما الوثيقة الثانية فهى بتاريخ ٢١ كانون الثانى ١٩٩٠ ـ أى بعد ١٣ يوما من الأمر الأول ـ وهى صادرة من قيادة فرقة المشاه الحادية عشرة (الأركان العامة) تحت عنوان: «سرى للغاية وشخصى وعلى الفور»، وتحوى عبارة بليغة واحدة فقط تعبر عن تدهور الروح المعنوية للقوات العراقية فى الكويت، وهى

على النحو الآتى بعد الإشارة إلى الكتاب السرى السالف الذكر: «لايوجد من يرغب التطوع بالعمل كفدائى» !

أما النقطة الثانية، وتختص بخروج الأسرة الحاكمة من الكويت إلى المملكة العربية السعودية. فقد صورها هيكل ـ كما ذكرنا فى شكل هروب سريع بتعليمات من «أحد ضباط الأمن الأميركيين» الذى عرف بأن الغزو العراقى على وشك الوقوع، فاتصل بمدير الأمن الكويتى يطلب إليه إبلاغ وزير الداخلية ووزير الدفاع بوضع خطة الطوارىء الخاصة لحماية سلامة الأمير والأفراد الرئيسيين للأسرة الحاكمة موضع التنفيذ!

وقد اعتمد هيكل على هذه القصة التى فبركتها المخابرات الأميركية، وذكر أنه بعد أن حل المساء طلب إلى الأمير أن يتحرك إلى منطقة الخافجى فى السعودية، وبالفعل بدأ موكب الأمير يتحرك فى اتجاه منطقة الخافجى والذهول يمسك بأعصاب الجميع!».

أما ولى العهد الشيخ سعد السالم الصباح، الذى وصل إلى الكويت قادما من جدة بعد المغرب، فقد اعتمد هيكل الرواية التى تقول بأنه أخطر بعد عودته مباشرة بأن خطة الطوارىء وضعت موضع التنفيذ، فأصدر بعض التعليمات إلى عدد من أجهزة الدولة، وبينها الحرس الوطنى، ثم غادر مدينة الكويت إلى البر فى الوقت الذى كان فيه دوى انفجارات القنابل يسمع بوضوح فى المدينة!

ولم يكن شىء مما أورده هيكل فى هذا الصدد صحيحا، وكان عليه الرجوع إلى المصادر الكويتية لاستكمال تحقيقه إذا كان يريد الوصول إلى الحقيقة، أو محاولة استيضاح الحقيقة من الجانب السعودى ولكنه تجاهل هذه المصادر كلية مع أنها مصادر الطرف الذى وقع عليه الاعتداء، وهى أقرب إلى التصديق من مصادر الطرف الآخر، الأمر الذى يوضح أن غرضه كان التشويه وإظهار أمير

الكويت وولى عهده فى صورة من يطلب السلامة على حساب شعبه وجيشه.

والحقيقة، بتحقيقى هذه المسألة مع المصادر الكويتية الوثيقة، أنه عندما وصل الشيخ سعد من جده فى الساعة السادسة مساء، أبلغ الوزراء الذين كانوا فى استقباله بأنه لم يحدث تقدم فى المباحثات مع العراقيين، وأن الاتصالات مع ذلك مستمرة، واتفق على عقد اجتماع فى اليوم التالى للوزراء مع ولى العهد، ثم توجه الشيخ سعد للقاء الأمير.

وفى الساعة الثالثة صباحا دُعى الوزراء من بيوتهم للاجتماع بولى العهد رئيس الوزراء فى وزارة الدفاع، لمناقشة الغزو، وقد تمكن بعضهم من الذهاب ولم يتمكن البعض الآخر وحضر بعضهم متأخرا بعد احتلال القوات العراقية للمقر، مثل وزير الاعلام، فقبض عليه حتى جاءت نجدة كويتية واشتبكت مع القوات العراقية، فتمكن مع مجموعة من الضباط الكويتيين من الهرب.

والمهم هو ان اجتماع الوزراء استمر بينما كانت التقارير ترد عن تحركات قوات الاحتلال، حتى وصل تقرير بأن هذه القوات قد أوشكت على الوصول إلى محافظة الجهراء (وصلت القوات العراقية مدينةالكويت خلال ثلاث ساعات ونصف وعندئذ طلب الشيخ سعد مغادرة الوزارة فورا، وركب سيارته المرسيدس السوداء المصفحة التى اعتاد التجول بها.

ويقول الشيخ فهد اليوسف الصباح، النقيب بالحرس الأميرى، الذى قاد السيارة: إن الشيخ سعد طلب منه التوجه إلى قصر دسمان، مقر الحكم، وكانت الساعة آنذاك قد تجاوزت الرابعة والنصف حين وصلا إلى جسر التحكم، وعندئذ طلب الشيخ سعد الاتصال بقصر دسمان حيث يقيم الأمير جابر، وبعد حديث قصير أخبر الشيخ سعد الأمير بأنه فى طريقه إليه، وإنه تلقى اتصالاً عاجلاً من السعودية بتدبير كل الأمر لوصولهم إليها سالمين.

وحين وصل إلى القصر كان الأمير فى انتظاره وبمعيته الشيخ جابر العلى، وركب الجميع السيارة، وأمر الشيخ سعد السائق بالتوجه إلى مركز النويصيب المجاور لحدود الكويت مع المملكة العربية السعودية. وكانت الساعة فى حدود الخامسة والثلث، وكان النور طالعا، ولم يكن السائق فى حاجة إلى استخدام كشافات السيارة (تحققت من أن الشروق فى الكويت وقتها كان فى الساعة ٥,٠٩) وبذلك أفلت الأمير وولى عهده من أسر قوات الغزو.

على هذا النحو كانت طريقة خروج أمير الكويت وولى عهده من الكويت بعيدا عن التلفيق والتزييف! ولم يكن هذا الخروج فرارا كما صور هيكل، فالفرار معناه ترك الشعب الكويتى يواجه مصيره مع قوات الاحتلال العراقية، ولكن خروج أمير الكويت وولى عهده كان استعدادا لمعركة تحرير الكويت وانقاذ الشعب الكويتى من المصير الجهنمى الذى كان يعده له النظام العراقى ـ وهو طرده من أرضه وتحويله إلى شعب من اللاجئين! ولو وضعت القوات العراقية يدها على أمير الكويت وولى عهده، لتغير مجرى حرب الخليج وفقا لما أراده النظام العراقى، وتمناه هيكل فى كتابه (الملغم بالافتراءات وقلب الحقائق وتزوير التاريخ!

(هيكل حرب الخليج أوهام القوة والنصر)

افريقيا الوسطى تكذب كتاب « هيكل »

لم نشترك فى حرب الخليج

نفى المتحدث الرسمي بوزارة الخارجية ما جاء في كتاب محمد حسنين هيكل « أوهام النصر » عن حضور طائرة تقل قوات من جمهورية افريقيا الوسطى لمطار القاهرة اثناء ازمة الخليج وابلاغ قيادة هذه القوات للسلطات المصرية انها في طريقها للسعودية للمشاركة في القتال .

وقال ان ذلك غير صحيح جملة وتفصيلا فلم يحدث ان حضرت اى قوة من جمهورية افريقيا الوسطى لمطار القاهرة او اى مطار مصرى آخر .

وكانت حكومة جمهورية افريقيا الوسطى تقدمت بشكوى رسمية للخارجية المصرية اكدت فيها انه لم يحدث ان شاركت قوات من افريقيا الوسطى في العمليات العسكرية في الخليج وانه ببحث الموضوع مع السلطات المختصة المصرية . تبين ان الموضوع مختلق تماما وليس له اساس من الصحة .

رسالة لمبارك من رئيس أفريقيا الوسطى

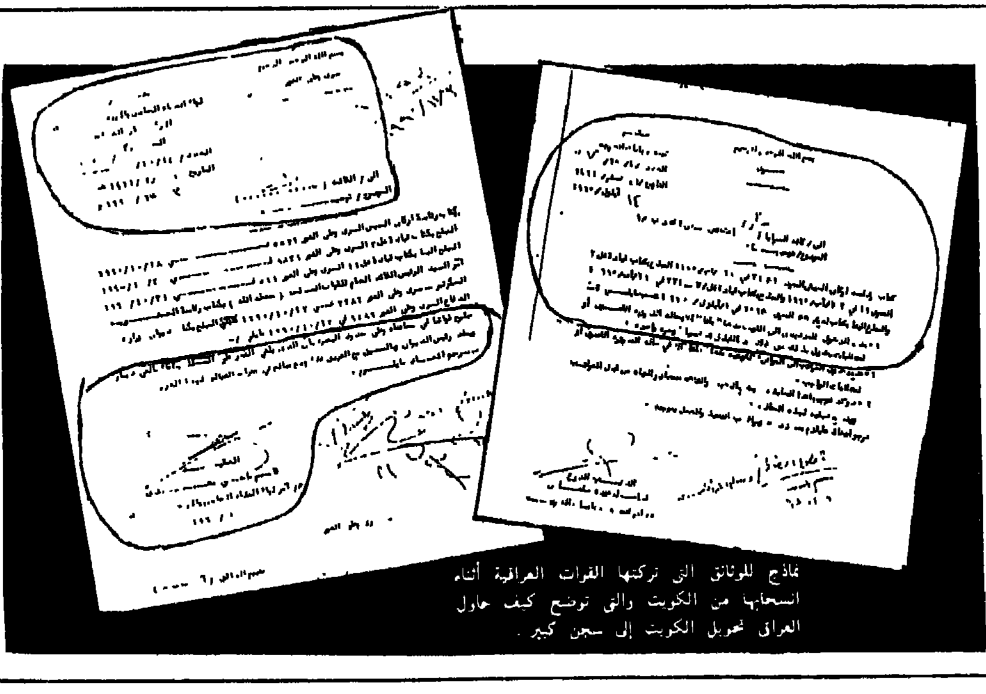
تلقى الرئيس حسنى مبارك رسالة من الرئيس اندريه توليه جيبا رئيس جمهورية افريقيا الوسطى حول القضايا الافريقية والعلاقات الثنائية بين البلدين .

تسلم الرسالة امس الدكتور اسامة الباز وكيل اول وزارة الخارجية ومدير مكتب الرئيس للشئون السياسية خلال استقباله جوزيف ديبانزى المستشار القانونى لرئيس جمهورية افريقيا الوسطى .

وذكرت حكومة افريقيا الوسطى في شكواها التى تقدمت بها الى الخارجية انه لم يحدث ان توقفت اى طائرة تابعة لها باى مطار مصرى في طريقها الى السعودية . وان افريقيا الوسطى لم تشارك باى قوات في تحرير الكويت وان اختلاق واقعة كهذه من جانب كاتب صحفى مصرى يمكن ان يسىء الى العلاقات الممتازة القائمة بين البلدين .

واختتم المتحدث باسم الخارجية تصريحه بان تضمين الكتاب المذكور هذه الواقعة المختلقة هو امر مؤسف يسىء الى حرية النشر التى تسعى مصر الى ترسيخها في الواقع المصرى .

التكذيب الرسمى الذى نشرته الصحف المصرية المعلن من حكومة جمهورية أفريقيا الوسطى فى شكوى رسمية إلى الخارجية المصرية



نماذج للوثائق التى تركتها القوات العراقية أثناء انسحابها من الكويت والتى توضح كيف حاول العراق تحويل الكويت إلى سجن كبير .

مراجع هذا الكتاب

◉ كتاب محمد حسنين هيكل

- حرب الخليج - أوهام القوة والنصر

الناشر: مركز الاهرام للترجمة والنشر (مؤسسة الأهرام القاهرة)

◉ صحف الأهرام والأخبار مقالات وتحليلات:

الاستاذ الكاتب الصحفى محمد جلال كشك

والاستاذ المؤرخ الصحفى دكتور عبد العظيم رمضان

◉ مقالات للدكتور عبد العظيم رمضان مجلة أكتوبر

◉ كتب أجنبية النص الانجليزى لكتاب

محمد حسنين هيكل حرب الخليج

صدر عن

الدار المصرية للنشر والإعلام
al dar al-masria publishing & information house ltd.

١ـ من فيض الرحمن فى معجزة القرآن ____ الشيخ الشعراوى

٢ـ من قتل السادات .... (طبعة رابعة) .... أ. حسنى أبو اليزيد

٣ـ أسرار محاكمة قتلة السادات ____ (طبعة ثانية) ____ أ. حسنى أبو اليزيد

٤ـ كنت جاسوسا فى إسرائيل (رأفت الهجان) .... (خارج مصر) .... أ. صالح مرسى

٥ـ يا سليمان السلام ____ (طبعة ثالثة) ____ أ. حسنى أبو اليزيد

٦ـ مارادونا .... (خارج مصر) .... أ. نادر شريف

٧ـ الحفار ____ (خارج مصر) ____ (طبعة ثالثة) ____ أ. صالح مرسى

٨ـ إعترافات چيهان السادات .... (طبعة سادسة) .... أ. حسنى أبو اليزيد

٩ـ رفيق السفر للأجانب والعرب ____ (طبعة رابعة) ____ د. محمود بهنسى

١٠ـ مذكرات الشيخ كشك .... (خارج مصر) .... الشيخ كشك

١١ـ كيف تتغلب على التوتر ____ (كتاب + كاسيت) ____ د. خليل فاضل

١٢ـ كنت هناك (أحداث عدن) .... (طبعة ثالثة) .... ديڤيد جارودى

١٣ـ الوجه الآخر لرأفت الهجان ____ (طبعة أولى) ____ أ. حسنى أبو اليزيد

١٤ـ الوجه الحقيقى لرأفت الهجان ____ (طبعة ثانية) ____ أ. حسنى أبو اليزيد

١٥ـ السحر بين الحقيقة والوهم ____ د. عبدالسلام السكرى

١٦ـ فتاوى الشيخ كشك (ثمانية أجزاء) .... (خارج مصر) .... الشيخ كشك

١٧ـ هذا هو الإسلام .... (خارج مصر) .... الشيخ الشعراوى

١٨ـ كيف تتوقف عن التدخين .... (كتاب + كاسيت) .... د. خليل فاضل

١٩ـ نقل وزراعة الأعضاء الآدمية .... د. عبدالسلام السكرى

٢٠ـ الطب والجنس .... د. مدحت عزيز شوقى

٢١ـ الحب طفلنا الضال .... أ. عائشة أبو النور

٢٢ـ كيف تقوى ذاكرتك وتنجح فى الاختبار .... (كتاب+كاسيت) .... د. خليل فاضل

٢٣ـ ختان الذكر وخفاض الأنثى .... د. عبدالسلام السكرى

٢٤ـ عرافة فى البيت الأبيض .... دونالد ريجان

د. محمود بهنسى

٢٥ـ تسلية أهل المصائب .... الإمام عبدالله الحنبلى

تحقيق د. محمود نمر

٢٦ـ الطريق إلى نوبل (خارج مصر) .... معتز شكرى

د. محمد يحيى

٢٧ـ آيات قرآنية نزلت فى نساء صالحات .... د. فيصل أبو رحمة

٢٨ـ الطب النبوى .... الشيخ ابن القيم الجوزية

٢٩ـ مذكرات نانسى ريجان .... نانسى ريجان

د. محمود بهنسى

٣٠ـ المجتمع المثالى .... كما تنظمه سورة النساء. .... د. محمد مدنى

٣١ـ سيكولوچية الجنس .... د. مدحت عزيز شوقى

٣٢ـ إغتيال الكويت .... (طبعة ثانية) .... أ. أيمن نور

٣٣ـ صدام فى المصيدة .... أ. وحيد غازى

٣٤ـ الحرب الكيماوية الوقاية والعلاج ———— د. فاروق محمد الباز

٣٥ـ كاريكاتير المشاهير فى أزمة الخليج .... أ. عبدالله أحمد عبدالله

٣٦ـ أسرار عاصفة الصحراء ———— أ. مجدى شندى

٣٧ـ أسرار أسلحة الدمار فى حرب الخليج .... أ. عادل القاضى

أ. مصطفى أمين أحمد

٣٨ـ آراء الشيخ الشعراوى فى حرب الخليج .... الشيخ الشعراوى

٣٩ـ من قتل السادات ———— (طبعة خامسة) ———— أ. حسنى أبو اليزيد

٤٠ـ طفلك بين فوائد وأضرار الرضاعة الطبيعية والصناعية .... د. سامى محمود

٤١ـ الذبحة الصدرية (الوقاية والعلاج) ———— د. سامى محمود

٤٢ـ إنهيار امبراطورية شيوعية .... أ. ممدوح لطفى

تقديم أ. حسنى أبواليزيد

٤٣ـ مصر بين الدولة الدينية والمدنية .... (طبعة ثانيـة) ———— مناظرة معرض الكتاب

٤٤ـ كل شىء هادئ فى تل أبيب (الملف السرى لرأفت الهجان) ————

أ. حسنى أبو اليزيد

٤٥ـ المـافيا قتلت الرئيس كنيدى ———— ديفيد آى شايم

ترجمة محمود بهنسى

٤٦ـ ديانا .. ملكة الأميرات ———— أنجريد سيوارد

ترجمة حسن صبرى

٤٧ـ التربيـــة الجنسيـــة فى الإســـلام ———— أ. عبد الرحمن الجزائرى

٤٨ـ الجاسوسيـة ورجـــال الأعمـــال ———— أ. محسن الخضيرى

٤٩ـ أعظـــم حـــوار ديمقراطى فى التاريـــخ ———— د. عبدالسلام البسكرى

من قتل السادات؟

للكاتب الصحفى

حسني أبو اليزيد



- أول كتاب يصدر فى العالم عن قضية اغتيال الرئيس السادات ـ بالوثائق النادرة والصور الفريدة.
- المرجع الأول للباحثين والكتاب فى قضايا ودراسات مماثلة.
- أكثر الكتب العربية مبيعا فى العالم.

* * * * * * * * * *

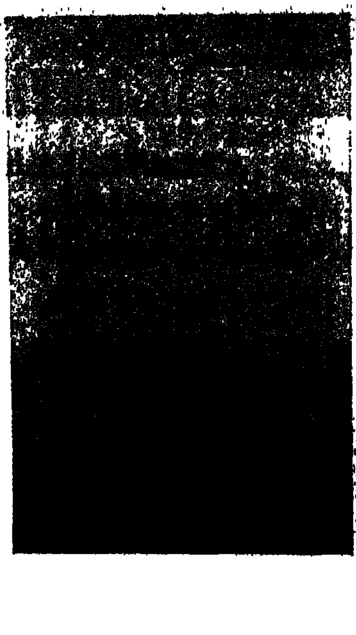
المناظرة الشهيرة في معرض الكتاب

بين

الإسلاميين والعلمانيين

الشيخ محمد الغزالي

دكتور فرج فودة



- النص الحرفى لأشهر مناظرة علنية أقيمت فى مصر وحضرها ثلاثون ألف مواطناً
- حوارات ساخنة ملتهبة الفكر والحجة لمفكرين مشاهير على مدى ثلاث ساعات

أعظم حوار ديمقراطى فى التاريخ



بين
عمر بن الخطاب
وخالد بن الوليد

- كتاب محقق من التراث يحتوى على النص الحرفى لأشهر الحوارات الديمقراطية فى التاريخ.

تحقيق: دكتور عبد السلام السكرى

* * * * * * * * * *

كل شىء هادىء فى تل أبيب

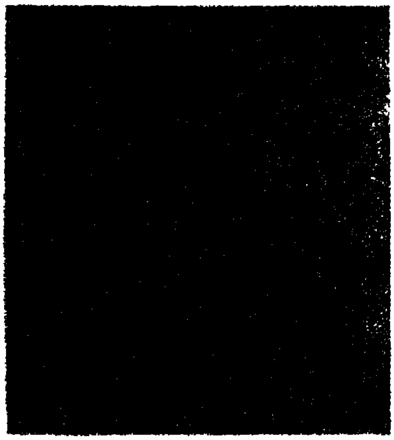


الملف السرى للهجان

الكاتب الصحفى حسنى أبو اليزيد

- يفتح الملف السرى لرأفت الهجان (رفعت الجمال) من داخل إسرائيل ومصر وألمانيا ويكشف الستار عن شبكة الجواسيس الكاملة بأسمائهم الحقيقية من داخل إسرائيل.
- ويتناول الكتاب حقائق عمليات (إبراهيم وإنشراح) جواسيس إسرائيل داخل مصر.

التربية الجنسية فى الإسلام



◎ أول كتاب يتحدث عن أسس وأساليب التربية الجنسية فى الإسلام.

رسالة دكتوراه .. فى كتاب.

للدكتور

عبد الرحمن طالب الجزائرى

* * * * * * * * * *

إنهيار إمبراطورية شيوعية

أسرار فى ملف كامل

بقلم الكاتب الصحفى ممدوح لطفى



تقرأ فيه

◎ الشيخ الحريرى تنبأ فى المدينة المنور بنهاية الشيوعية وحكاية (ألما ـ آتا)

◎ المخابرات ودورها المتصاعد

◎ طوفان التغيير والرحل الذى أيقظ المارد

◎ يوميات بشهادة وفاة الاتحاد السوفييتى

المحتويات



إقــرأ ...

عــن

الـدار المصـرية

أول سلسلة كتــب مــن داخـــل إســـرائيـــل :

◉ الـدروز فى إســرائيــل ... المستشــار محفوظ عبد العــال

◉ الـدفاع الصاروخى الإسرائيلى إيليان ماكابى ـ ترجمة

◉ الإيـدز فى المجتمـع الإسرائيلى.......... ... إنطوان چورچ ـ ترجمة

* * * * * * * * * *

◉ **ألعاب الحرب فى العــالم** بقلم توماس اليان ترجمة إلهام عثمان

تقـديـم **رائـد عطـار**

عـرض **حسنـي أبـو اليزيـد**

◉ **العائدون من أفغانستان** بقلـم **عصـام دراز**

◉ مشاكل الحدود فى العالم العربى .... مجـدى شنـدى

◉ المواجهة بين الإسلام والغرب ....دكتـور محمـد مـورو

◉ الموساد قتلت بطلها الأمبراطور .... مجـدى شنـدى

كيف تحصل على بطاقة عضوية الدار المصرية للكتب ؟

***الإخوة والأخوات قراء الدار المصرية للنشر والتوزيع ـ قبرص ـ**

ودار الكتاب العالمي ـ قبرص.

***ندعوكم للحصول علي بطاقة عضوية والتي ينفرد بها قراؤنا بالميزات التالية:**

١ـ خصم ٢٥٪ على جميع كتب الدار المصرية للنشر والتوزيع قبرص والكتاب العالمى ـ والدار المصرية للنشر والإعلام فى مصر ـ
(وماصدر عنها وما يصدر تباعاً) .

٢ـ خصم ١٠٪ من سعر أى كتاب يصدر فى مصر عن أى دار نشـــر.

٣ـ ترسل لكم على عنوانكم النشرة الدورية بالمجان والتى تحتوى على جميع مايصدر من كتب ومراجع داخل مصر والعالم العربى وأسعارها.

٤ـ بحصولكم على بطاقة العضوية تستطيع التمتع بنظام أستعاره أى كتاب ترغب فى قراءته وإعادته دون شـــــراء.

٥ـ خدمات خاصة لتكوين المكتبات المنزليه (للأعضاء) بأقل التكاليف.

٦ـ معاونة الأعضاء فى الحصول على أى كتاب أجنبى أو مرجع يصدر فى أوربا وأميريكا.

٧ـ بطاقة العضوية (لثلاثة آلاف مشترك فقط) من داخل مصر ـ والدول العربية ـ أوربا وأستراليا وكندا ـ أولوية العضوية بوصول استمارة البيانات وفق برنامج خاص بالكمبيوتر مخصص لخدمة السادة الأعضاء.

٨ـ بطاقة العضوية والإشتراك لمدة عامين تبدأ من يناير ١٩٩٣ ، ونتلقى رغبات الإشتراك إعتباراً من تاريخه وسنقوم بإرسال بطاقة عضويتكم والكتيب الخاص فوراً.

بسم الله الرحمن الرحيم

الدار المصرية للنشر والتوزيع
نيقوسيا ـ قبرص

طلب بطاقة عضوية
الدار المصرية للكتب

الإسم : .... الوظيفة ....

تاريخ الميلاد : .... هاتف العمل .... هاتف المنزل .... فاكس ....

المدينة : .... الدولة

عنوان المراسلة ....

....

....

أطلعت على الشروط العامة للعضوية ورفقه

* شيك مصرفى بقيمة .... إشتراك عامين إعتبار من أول يناير ١٩٩٣
* صورة تحويل بنكى بقيمة .... إشتراك عامين إعتبار من أول يناير ١٩٩٣
* نقداً أو بشيك بنكى داخل مصر بقيمة .... إشتراك عامين إعتبار من أول يناير ١٩٩٣

برجاء تزويدى بالكتاب التفصيلى وبطاقة العضوية على عنوانى المذكور سابقاً

التوقيع

....

* لسرعة المراسلة والمخاطبة للمشتركين من الدول العربية وداخل مصر الكتابة إلى مكتب تمثيلنا ـ
الدار المصرية للنشر والإعلام ص. ب ١٢٩ هيليوبوليس القاهرة ـ فاكس: ٢٦١٥٧٤٤ (٢٠٢)

* باقى دول العالم إلى
Nicosia - Cyprus - P. O Box 8559
Fax : (3572) 3129483

رقم الإيداع

٩٣ / ١٩١٧

I.S.B.N.

977-5876-02-5

الناشر

الدار المصرية للنشر والتوزيع

al dar al-masria publishing & distribution house ltd.

20 Kalypso, St., suite 301, Acropolis, P.O.Box 6559

Tel. (02)496666, Telex 5341 Hosni-Cy Fax-(003572) 312963

Nicosia - Cyprus

الوكيل في مصر

الدار المصرية للنشر والإعلام

ص. ب ١٢٩ هيليوبوليس القاهرة

ت وفاكس ٢٦١٥٧٤٤ (٢٠٢)

مطابع الأهرام التجارية - قليوب

محمد حسنين هيكل * حرب الخليج

أوهامه عن القوة والنصر

◉ وجربت أن أقترب من أزمة الخليج كتابة، وبالفعل كتبت، ولكن الأزمة أصبحت عاطفية بأكثر من اللازم، شخصية بأكثر من اللازم، وعسكرية بأكثر من اللازم، والصدور ضيقة والأعصاب متوترة والأمزجة منحرفة، وإني آمل أن يكون الفكر العربي قد تجاوز حالة أزمة دهمته على غير أنتظار وحالة حصار أحاطت به على غير ضرورة.

هيكل

◉ أعتمد هيكل ـ لحد كبير ـ في كتابه عن حرب الخليج على معلومات مغلوطة، ففي كتاب عن المخابرات العراقية التي استرقت مكالمة هاتفية بين فتاتين كويتيتين، تطرقت إلى مواضيع أغان وتحريض ولوم، فأتسم التحليل برومانسية بعيداً عن الاحتلال..

المحلاوي

الدار المصرية للنشر والتوزيع
al dar al masria publishing & distribution house ltd.

مطابع الأهرام التجارية ـ قليوب ـ مصر